جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الوحدة القرآنية
في سورة الشعراء

إعداد

د/ عبدالله محمد أديب محمد شمس الدين القاوقجي.
مدرس بقسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية
فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الثالث .. أغسطس)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الوحدة القرآنية في سورة الشعراء.

عبدالله محمد أديب محمد شمس الدين القاوقجي.
مدرس بقسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالمنوفية
البريد الالكتروني: abdallahshamseldien.lan@azhar.edu.eg

الملخص:

تفرد القرآن الكريم بموائز لم يشاركه فيها كلام آخر، ومن هذه الموائز الوحدة القرآنية التي هي إعجاز من الإعجاز، وتتضح الوحدة القرآنية عند الاستبصار الكلي للسورة الكريمة لأن هذا سيجعلك ترى الموضوعات المتعددة المتباينة في ظاهرها تنتظم في سياق واحد وتنضوي تحت عنوان واحد يأخذ بمعاقدها كلها، لاسيما أن هذا التباين بين ما ظاهره موضوعات مختلفة يزول مع تدبر الآيات والتفكر في السياق الموجه لخطها الموضوعي، وقد جاءت سورة الشعراء لتكون مظهرا لهذه الوحدة؛ إذ احتوت السورة على خطاب محمدي اشتمل على الأمر بالجهر بالدعوة، وهذا اقتضى حشد مشاهد الأنبياء السابقين لتكون تسلية لرسولنا الكريم عما يلاقيه من عنت القوم، وإشهادا عليهم ببيان العواقب إنجاء وإهلاكا؛ فالشخصيات تتغير والأفعال تتكرر، كما اقتضى سياق السورة التي عنونت باسم الشعراء أن تتحدث عن القرآن الكريم؛ لتدلل على تباين أسلوبه عن أسلوب الشعراء، وهذا اقتضى أيضا أن توضح السورة أن القرآن ليس من إفك الشياطين، ونتج عن الدراسة عدة نتائج منها أن السورة الكريمة بينت أن التناسق الجمالي مقصد من مقاصد البيان القرآني، وأوضحت نماذج الأقوام التي وردت في السورة الكريمة أن القرآن خطاب حي صالح لكل زمان ومكان؛ فنحن نجد في زماننا أمثال هؤلاء المنكرين الذين عاندوا الرسل الكرام قبل رسولنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، كما تبين أن سورة الشعراء تعد من أوليات السور التي عنيت بسرد الحوار الذي دار بين الأنبياء وأقوامهم؛ لذا نجد أن المستويات الخطابية قد

تنوعت بتنوع القوم المحكي قصتهم، وساعد الحوار هنا على تصعيد الحدث بما جعله خاضعا لجاذبية النهاية ، ومع أن السورة الكريمة قد حملت من الحمولة المعنوية ما تبين سرده في مشاهدها المتعاقبة، لكن هذه الحمولة يمكن اختزالها في ثلاث كلمات: "آية، العزيز، الرحيم" وذلك لأن هذه الثلاث تمثل المفتاح السردي لكل مشهد من مشاهد السورة؛ فكلمة آية تختزل تفاصيل كل مشهد، وكلمتا العزيز الرحيم تختزلان العاقبة لكل مشهد.

الكلمات المفتاحية: الوحدة القرآنية، الشعراء، الترابط النصي، الأزمنة الخطابية، حوارية السورة.

Qur’anic unity in Surah Ash-Shu’ara.

Abdullah Muhammad Adeeb Muhammad Shams al-Din al-kawkgy.
Lecturer, Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University Branch, Menoufia
bEmail: abdallahshamseldien.lan@azhar.edu.eg

Abstract:
The Holy Qur’an is unique in its advantages that no other word shares with it, and among these advantages is the Qur’anic unity, which is one of the miracles. The Qur’anic unity becomes clear when you fully examine the Holy Surah, because this will make you see the multiple apparently disparate topics organized into one context and subsumed under one title that takes in all their complexities. Especially since this discrepancy between topics is expected to disappear with contemplation of the verses and reflection on the context guiding their thematic line. Surah Ash-Shu'ara came to be a manifestation of this unity. As the surah contained a Muhammadan speech that included the command to speak out for the call, and this necessitated the mobilization of the scenes of the previous prophets to be an entertainment for our noble Messenger from the hardships of the people that he faced, and as a witness against them by explaining the consequences of salvation and destruction. Characters change and actions are repeated, just as the context of the surah titled “Poets” required it to talk about the Holy Qur’an. To demonstrate the difference in his style from that of the poets, this also required that the Surah make clear that the Qur’an is not one of the deceitful devils. The study resulted in several results, including that the Noble Surah showed that aesthetic harmony is one of the purposes of the Qur’anic statement, and the examples of peoples mentioned in the Noble Surah made it clear that the Qur’an is a living

speech that is valid for every time and place. We find in our time examples of those deniers who opposed the honorable messengers before our Messenger Muhammad, may God bless him and his family and grant them peace. It has also become clear that Surah Ash-Shu'ara is considered one of the first surahs that were concerned with narrating the dialogue that took place between the prophets and their people. Therefore, we find that the rhetorical levels varied according to the diversity of the people whose story was being told, and the dialogue here helped escalate the event, making it subject to the gravity of the end, and despite the fact that the noble surah carried the burden. The moral is what is revealed in its narration in its successive scenes, but this burden can be summed up in three words: "A sign, the Mighty, the Merciful," because these three represent the narrative key to each scene of the Surah. The word "verse" summarizes the details of every scene, and the two words "Almighty, Most Merciful" summarize the outcome of every scene.

Keywords: Quranic Unity, Poets, Textual Coherence, Rhetorical Tenses, Dialogue Of The Surah.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي الصادق الأمين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد..؛

فإن القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، وإنها لنعمة أية نعمة أن يشتغل المسلم بدراسة تتصل بكتاب الله الكريم الذي هو الماء النمير السائغ لمن يريد الرواء، وهو المعين الصافي لمن يريد الشفاء، وهو الطريق الراشد لمن يريد السماء، وهو كتاب الأمة لمن يروم لأعماله أن تهدي الأمة ويكشف الله بها الغمة، وهو الذكر لمن يريد أن يكون ذا ذكر، وهو كلام الله المعجز الذي أزال به كل ملغز، وهو منتهى الإجمال الذي جاءت له السنة بالتفصيل، والله أدعو أن تمتد كل دراسة لي إليه ولو بسبب من الأسباب، وإني لأوقن اليقين كله أن كل دراسة تتخذ من عربيتنا الخالدة مادة لها فهي متصلة به وخادمة له إن اتصالا مباشرا أو غير مباشر؛ فالحق يكون بهدم الهدم كما يكون بإقامته سواء بسواء.

وإنه على كثرة الدراسات التي اتخذت من القرآن الكريم مادة لها إلا أنه لم تكتب الكلمة الفصل بعد؛ وكيف ذاك وقد قال تعالى في مفتتح سورة "آل عمران": "وما يعلم تأويله إلا الله"، ولولا هذا ما كتب شيء بعد الذي كتب من خرائد الأقدمين، ولعل الله تعالى يؤخر بعض مراده ليظل هذا القرآن جديدا على مرّ الأيام وتتابع الأزمان، وحتى يكون ذلك حافزا لكل من يصطفيه الله تعالى لدراسة كلامه العزيز.

وإن من إعجاز القرآن الكريم أن تجد الموضوعات المتعددة المتباينة في ظاهرها تنتظم في سورة واحدة وتنضوي تحت عنوان واحد يأخذ بمعاقدها كلها، لاسيما أن هذا التباين بين ما ظاهره موضوعات مختلفة يزول مع تدبر الآيات والتفكر في السياق الموجه لخطها الموضوعي، وأنه عند إمعان النظر في ترتيب

الموضوعات وأسلوب نظمها لتجد أن هذه الموضوعات لا تعدو إلا أن تكون موضوعات فرعية تنتظم تحت لواء موضوع رئيس، وأن أطرافها تأخذ بمجامع بعضها أخذا يمتن علائقها ويسلم إلى مقصود السورة الأعظم الذي سيقت من أجله.

وهذا عينه ما وجدته في سورة الشعراء؛ فقد تعددت مشاهدها القصصية وتنوعت قضاياها الفرعية بما كان من كل قوم من الأقوام التي اضطلعت السورة الكريمة بسرد موقفهم من أنبيائهم، لكن المستبصر لآياتها وأطرافها ليجد الرباط المتين الذي يأخذ بمعاقد مشاهدها بما يقدم النموذج المعجز في الوحدة القرآنية التي تجانست جزئياتها وتعالقت أطرافها – شأنها شأن سور القرآن الكريم– بما جعلني أرتأي – وأدعو الله أن أكون موفقا فيما رأيت– أن أدرسها على أنها وحدة واحدة متجانسة اتصل أولها بآخرها اتصالا عضويا وموضوعيا جعل منها نظما قرآنيا لا يصح دراسته جزئية جزئية.

وقد تتابعت مشاهد السورة الكريمة وفق السياق الموضوعي لها تتابعا يقتضيه العقل ويطلبه البيان الأمثل؛ فالسورة الكريمة افتتحت بمشهد خاطب فيه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بشأن أهل مكة وعدم إيمانهم وقد ذيل هذا المشهد بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ ، ثم قدمت السورة سبعا من قصص الأنبياء السابقين في سرد متتابع مذيل بالقول الإلهي ذاته الذي ذيل به المشهد المحمدي، ثم عاد الخطاب في السورة الكريمة إلى النبي محمد مشتملا على وصف القرآن الكريم بأنه تنزيل من رب العالمين وأنه ليس من إفك الشياطين، ثم أمر من الله تعالى بالجهر بالدعوة، واختتمت السورة الكريمة بالحديث عن فئة من الشعراء الذين عنونت السورة باسمهم، وكل هذا في خطاب متصل لم ينقطع في أي مشهد من مشاهدها– كما ستبين الدراسة بإذن الله تعالى– وإن كانت في ظاهرها متعددة

القصص.

وقد تواتر أكثر المفسرين القدماء على منهج التفسير الموضعي لآيات القرآن الكريم دون النظر إلى الوحدة الكلية للسورة الكريمة في نفسها أو الوحدة القرآنية في القرآن الكريم كله، وإن وجدت إشارات إلى ذلك عند بعضهم أثناء تفسيره إلا أنها ظلت مجرد إشارات لم ترتق إلى الإحاطة الكاملة بالسورة الواحدة من طرفيها ومجامعها أو الإحاطة بالمقاصد الكلية للقرآن الكريم، فقد انصبت جهودهم على التفسير اللغوي للمفردات وبيان المعنى العام لمقطع من الآيات الكريمات فقط دون الاهتمام بالمعنى الكلي للسورة مجتمعة وما اشتملت عليه من وحدة قرآنية فريدة، واكتفوا بالتعليق العام على السورة من حيث أسماؤها وفضلها، ثم جاء من بعد ذلك من المفسرين من اتجه نحو بيان الارتباط بين آيات السورة الواحدة وارتباط كل سورة بما يجاورها ومنهم الفيروز أبادى صاحب بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، والإمام البقاعي صاحب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور وعلى دربه سار الإمام الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير وغيرهم من متأخري المفسرين، لكن أعمالهم أيضا انحصرت في مباحث علم المناسبة وما يتصل به من بيان تعالق الآيات وتعالق السور، ولم تظهر في أعمالهم الوحدة القرآنية بالمعنى الأعم من علم المناسبة على ما سيتبين من خلال الدراسة بإذن الله تعالى.

ويعد ما قدمه قدماؤنا من تفسير لكتاب الله تعالى مجهودا وافرا وتراثا زاخرا وإضافة للمكتبة العربية والإنسانية، لكن واجب الوقت الآن يفرض على الباحثين أن يمموا وجههم شطر تلك الدراسات التي تعنى بالاستبصار الكلي للسورة القرآنية حتى تتكامل الجهود مع قدمائنا وعسى بذلك أن نكون قد وفينا بعض ما علينا من حقوق نحو كتاب الله تعالى.

اختيار الدراسة:

كلما قرأت سورة الشعراء طاف بخلدي سؤال مفاده: لماذا سميت هذه السورة بهذا الاسم؟ وبعد المضي في الدراسة كان السؤال الملح عندي هو: لماذا سردت السورة الكريمة قصص هؤلاء الأنبياء خاصة دون غيرهم؟ وعليه لماذا هذا الترتيب بينها مع أنه ترتيب يخالف الترتيب الزمني لهم؟ وبعد مزيد من الدراسة كان هذا السؤال: لماذا اقتصرت كل قصة على ما تم حكيه هنا دون بقية تفاصيلها التي ذكرت في مواضع أخر؟ وما علاقة هذا القصص بالخطاب المحمدي الذي افتتحت به السورة الكريمة وفي الوقت ذاته انتهت به؟ ومن ثم جاءت هذه الدراسة محاولة للإجابة عن هذه الأسئلة.

سوابق الدراسة:

لا يستطيع العد أن يحصي الدراسات التي كان القرآن الكريم مادتها؛ إذ لا نعدم فرعا من فروع المعرفة على كثرتها إلا وامتدت دراساته إلى القرآن الكريم، مسترفدة إياه للوصول إلى مبتغاها، وهذه ميزة لم يشاركه فيها كتاب آخر؛ فما عرفت البشرية اهتماما مثلما عرفت من الاهتمام بكتاب ربنا عز وجل، وهو الكتاب الأوحد الذي قامت حوله دراسات عديدة سواء بتناوله كله أم بتناول جزء منه، والنظرة الفاحصة للدراسات السابقة التي عنيت بدراسة سورة الشعراء تنبئ عن افتراق هذه الدراسة نوعا ما عن أيتها؛ وذاك راجع إلى النظرة الكلية التي تبنيتها في استبصار السورة الكريمة والتدليل على ترابطها النصي لفظيا ومعنويا، بالإضافة إلى دراسة الأزمنة الخطابية في السورة ودلالات تداخلها، ثم دراسة حوارية السورة وتعالقها مع مقصدها من حيث إبلاغ الدعوة إلى أهل مكة، ثم الانتهاء بدراسة دلالة عنوانها وارتباطه بكل ما تقدم.

وكان الحرص على تحقيق هذه النظرة حافزا على الإفادة من عدة دراسات مجيدة؛ اختص أصحابها سورة الشعراء بالدراسة، أو كانت دراسات في القرآن الكريم كله وبخاصة مما يتماس مع رؤية الدراسة؛ ومن النوع الأول الدراسة التي

جاءت بعنوان: سورة الشعراء (دراسة بلاغية تحليلية)، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة إعداد/ فوزية المطيري، إشراف الدكتور: محمد بن سعد الدبل، وقد عالجت هذه الرسالة السورة الكريمة معالجة بلاغية من حيث تنوع التعبير بالجمل الاسمية والفعلية عن المعنى، وأسلوب القصر والأسلوب الحكيم والالتفات والتغليب والفصل والوصل والإيجاز والإطناب وغير ذلك من أبواب البلاغة، وأهم ما أفدته منها تمثل في معالجتها للقصة القرآنية في السورة الكريمة ولو أنها كانت معالجات لكل قصة منفردة ولم تربط الدراسة بينها.

ومنه الدراسة التي جاءت بعنوان: تقنيات الزمن في قصص سورة الشعراء للدكتور: "تومان غازي حسين"، ولو أن صاحبها قصر قصص السورة على تسلية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقط دون أن يربط ذلك بخطاب القرآن لأهل مكة، كما أنها درست التقنيات الزمنية في كل قصة نبوية منفصلة عن أختها دون الربط بينها جميعا، لكن هذا لا يقدح في تمثيلها للخط البياني الزمني لكل قصة من قصص السورة الكريمة بكل دقة.

ومن النوع الثاني الدراسة التي عنونت بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية للدكتور "رياض عميراوي"، وقد عالجت هذه الدراسة ماهية التفسير الموضوعي وألوانه من حيث تتبع اللفظة القرآنية، أو بيان الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، أو التفسير الموضوعي للقرآن متكاملا، كما أنها قامت ببيان ماهية الوحدة الموضوعية ومدى أهميتها للسورة القرآنية، وهي دراسة تعد عالة على دراسة الدكتور "مصطفى مسلم" والتي عنوانها: مباحث في التفسير الموضوعي، الذي استودعها رؤيته في المنهج العلمي للدراسة الموضوعية وأتي فيها بكل ما جاء في دراسة الدكتور "رياض" بإفاضة ممنهجة وتطبيق عملي على سورة "الكهف".

ومنه أيضا الدراسة التي جاءت بعنوان: "دلالة التركيب في القرآن الكريم (مفهومها- وحجيتها - ونماذج من تطبيقاتها) إعداد الدكتور/ محمد ولد سيدي عبد القادر، والتي عنيت ببيان دلالة التركيب فأفدت منها إفادات

مجيدة ساعدتني في الربط بين سورة الشعراء وبقية سور القرآن الكريم، وكان هذا معينا على فهم نظام القصة في القرآن الكريم، مما ساعد على بيان خصوصية كل موضع مع مقصود الخطاب في السورة، كما أن دلالة التركيب هذه تنفي شبهة التكرار التي يلوكوها من لا يحسنون العربية ولا يحسنون تدبر القرآن الكريم.

ومنه الدراسة التي جاءت بعنوان: "الوحدة الموضوعية في السورة المتعددة القضايا في التفسير الإذاعي للدكتور محمد عبدالله دراز" إعداد الباحثة "دعاء محمد رياض أبو زيد"، وقد قامت الباحثة بتتبع المصطلحات التي تكافئ "الوحدة الموضوعية" عند أصحابها، ثم تفصيل الحديث عن أسباب اهتمام الدكتور دراز بقضية الوحدة الموضوعية داخل السورة المتعددة القضايا، وبيان انفراد كتاب الله عن غيره من الكتب في طريقة جمعه، ثم الاستقرار على أن الوحدة الموضوعية نشأة إلهية، ثم قامت الباحثة بمناقشة أسباب إنكار العلماء للوحدة الموضوعية، والرد عليهم بالأدلة من خلال رؤية الدكتور دراز.

منهج الدراسة:

إن الدراسة التي مادتها سورة من القرآن الكريم لها منهج خاص يأخذ خطواته أول ما يأخذ من كتب التفسير حتى تتضح المعاني الأولية للآيات الكريمات؛ لذا فإنني بدأت بكتب التفسير المتنوعة وبخاصة تفسير "التحرير والتنوير" للإمام "الطاهر بن عاشور" وتفسير "روح المعاني" للإمام "الآلوسي" ودراسة "النبأ العظيم" للإمام "محمد عبدالله دراز"، ثم اعتمدت المنهج الفني طريقا للتناول الأدبي بهدف الوصول إلى الدوال اللفظية والمعنوية التي تحقق رؤية البحث، ولدراسة الأزمنة الخطابية للسورة، وكذلك لدراسة الحوارية في السورة الكريمة، وانتهاء بدراسة العنوان ودلالاته الفنية.

مسار الدراسة:

وقد جاءت هذه الدراسة في **مقدمة** جاء فيها سبب اختياري لدراسة سورة الشعراء، وعرض للدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع، مع بيان موجز لكل دراسة، وشرح للمنهج الذي سرت عليه في دراستي، **ثم توطئة** صدرتها بالحديث عن الوحدة القرآنية، **وأربعة مباحث** جاء الأول منهما بعنوان : **الترابط النصي بجزئيه؛ دوال السبك اللفظي والحبك المعنوي** وتحدثت فيهما عن الآيات الدوال التي مثلت رباطا لفظيا ومعنويا بين أجزاء السورة، وجاء المبحث الثاني بعنوان: **أزمنة الخطاب في السورة**، وتحدثت فيه الأزمنة الثلاثة التي قام عليها الخطاب في السورة الكريمة، وجاء المبحث الثالث بعنوان: **الحوارية في السورة الكريمة** وتحدثت فيه عن أنواع الحوار التي قامت عليها قصص الأنبياء في السورة الكريمة بالإضافة إلى الحوار المحمدي الذي هيمن على السورة من أولها إلى آخرها، وأنهيت المباحث بمبحث: **التناسب** وتكون من أربعة أجزاء؛ أولها نهض بدراسة **تعالق العنوان مع موضوع السورة** من حيث علاقة الشعراء بالقرآن الكريم وعلاقة قصص الأنبياء بالخطاب المكي، وثانيها نهض بدراسة **تناسب السورة الكريمة في نفسها من حيث ترابط أولها بآخرها، وثالثها اضطلع بدراسة تناسب السورة في موضعها** من حيث ارتباطها بما قبلها وما بعدها مصحفيا ونزوليا، **ورابعها** عقد الصلة بين سورة الشعراء وسورة الفاتحة، ثم **خاتمة** وبها أهم نتائج البحث، **وثبت بالمصادر والمراجع.**

وبعد.. فالله أسأل أن يجعل هذا العمل سهمة في خدمة كتابه العزيز وأن يتقبله خالصا لوجهه الكريم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وجميع المسلمين.

توطئة:

لعل من أفضل ما قيل في مصطلح: الوحدة هو ما أورده الإمام "الزركشي" في إلماحه إلى تعدد تعاريفها ومحدداتها: "أن الوحدة تطلق ويراد بها النوعية ومنه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنما نحن وبنو عبد المطلب شيء واحد" وتطلق ويراد بها العدد نحو: "إنما زيد رجل واحد"[(١)]، والمعنى الأول يليق بمادة الدراسة من حيث دلالتها هذه؛ إذ حينما ننظمها في تركيب: "الوحدة القرآنية" نكون قد أردنا جنسا خاصا من الاتحاد وهو الاتحاد في البناء القرآني الذي يغاير الاتحاد في أي أسلوب آخر.

لماذا الوحدة القرآنية؟

للإجابة عن هذا السؤال لابد أن نعلم أن المصطلحات التي صكها أصحاب التفاسير في تفاسيرهم أو جاء بها أصحاب الدراسات التي عنيت بمفهوم الاتصال الموضوعي والعضوي للسورة القرآنية متعددة؛ وكثرت بتعددها تعاريفها، ولعل من أهم هذه التعاريف ما قدمه الإمام "محمد عبدالله دراز" في حديثه عن الكثرة والوحدة إذ يقول: "هذا الذي حدثناك عن عظمة الثروة المعنوية في أسلوب القرآن الكريم على وجازة لفظه يضاف إليه أمر آخر هو زينة تلك الثروة وجمالها، ذلك هو تناسق أوضاعها، وائتلاف عناصرها، وأخذ بعضها بحجز بعض، حتى إنها لتنتظم منها وحدة محكمة لا انفصام لها"[(٢)]، فقد بين رحمه الله تعالى حقيقة الوحدة المحكمة من حيث تآلفها من جزئيات فرعية متضامة متناسبة، وقد عرفها الدكتور "محمد محمود حجازي" في رسالته "الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم"

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م، ج٢ ص٤٣٤.

(٢) النبأ العظيم، ص١٨٠.

إذ يقول: "وأما الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم فالمراد منها: البحث عن القضايا الخاصة التي عرض لها القرآن الكريم في سوره المختلفة ليظهر ما فيها من معان خاصة تتعلق بالموضوع العام الذي نبحثه لنحقق الهدف وهو الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم"(١)، وأما جاحظ القرن العشرين "مصطفى صادق الرافعي" فقد أطلق عليها "روح التركيب" إذ يقول: "وهذه الروح التي أومأنا إليها، (روح التركيب)، لم تعرف قط في كلام عربي غير القرآن، وبها انفرد نظمه وخرج مما يطيقه الناس...، ولولا تلك الروح لخرج أجزاء متفاوتة، على مقدار ما بين هذه المعاني ومواقعها في النفوس"(٢)، وهذا اصطلاح نابع من أسلوب الرافعي الأدبي لكنه أراه غير مناسب لوصف القرآن الذي هو كلام الله تعالى، فتشخيص التركيب لا يليق بمقام كلام الله عز وجل، كما أنه غير معبر عن المعنى الدقيق للوحدة الموضوعية المقصودة؛ إذ خلا من لفظة الاتحاد التي هي مقصود الحديث هنا.

وقد أوردت الباحثة "دعاء محمد رياض أبو زيد" في دراستها الموسومة "بالوحدة الموضوعية في السورة المتعددة القضايا في التفسير الإذاعي للدكتور محمد عبدالله دراز" عدة مصطلحات عبر بها أصحابها عن الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم؛ "فهي الوحدة البنائية عند طه جابر العلواني، وهي الوحدة الكمية عند مالك بن نبي، وهي روح التركيب عند الرافعي، وهي الوحدة القرآنية عند سعيد حوى"(٣)، **وهذا المصطلح الأخير هو ما اعتمدته عنوانا لدراستي** وعنه

(١) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، مطبعة المدني القاهرة، ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م ص٣٣ وما تليها.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، ص٢٠١.

(٣) ينظر: الوحدة الموضوعية في السورة المتعددة القضايا في التفسير الإذاعي للدكتور محمد =

يقول صاحبه: "وهذا المصنف التفسيري غني عن القول بأن فيه من الجديد الكثير، فإنه قد تفرد بأشياء لم يسبق إليها، خاصة مسألة تقديم أول نظرية متكاملة عن **الوحدة القرآنية في القرآن الكريم**"(١)، فقد رأيت أن هذا المصطلح يؤدي معنى التكامل – المراد هنا– منسوبا إلى القرآن وهذا مزيد اختصاص له، **ويكون بهذا مصطلحا خاصا بالقرآن الكريم لا يطلق على غيره**، على عكس مصطلح "الوحدة الموضوعية" أو غيره من المصطلحات التي قد تطلق على أي نص متى تحقق فيه ضوابطها.

وينماز هذا المصطلح من وجود لفظة: "القرآنية" التي تؤدي وظيفة النعت الذي يضيف إلى منعوته: "الوحدة" على معناها النوعي كل خصائص القرآن الكريم من حيث الإعجاز والتقديس وإحكام السبك وتلاحم المعنى ونغمية الجرس وغير ذلك من خصائص القرآن الكريم.

ويمكن التعريف **بالوحدة القرآنية** في ضوء ما تقدم بأنها تعني الارتباط الموضوعي والعضوي الذي يجمع بين المحاور الفرعية التي بنيت عليها السورة الكريمة؛ وذلك من حيث ترابط آياتها لفظيا ومعنويا ونغميا، وبيان الدوال اللفظية والمعنوية التي قامت عليها السورة، وترابط الخطاب فيها مع موضوعها الرئيس، وتعالق مقدمتها بخاتمتها لتكوّن كلاً واحدا، وانضواء كل هذا تحت عنوان جامع يأخذ بمعاقدها؛ فالسورة الواحدة وإن تعددت أزمنة نزولها وأماكنه لها رباط يجمع بينها وهذا الرباط هو مظهر الوحدة القرآنية في السورة، كما أن هذه الوحدة القرآنية تمتد لتوضح صلة السورة مع مجاورتيها مصحفيا ونزوليا، كما تمتد لتبين

=

عبدالله دراز، دعاء محمد رياض أبو زيد، مجلة كلية التربية– جامعة عين شمس، العدد الرابع والعشرون (الجزء الثاني) ٢٠١١م، ص١٢٢ وما بعدها.

(١) تفسير الأساس، سعيد حوى، دار السالم – القاهرة، ط السادسة ١٤٢٤ هـ، ج١ ص٦.

ارتباطها بأم الكتاب وفاتحة القرآن الكريم.

ويتضح مما سبق الفرق بين الوحدة القرآنية بمعناها الفائت **وعلم المناسبة** الذي اقتصر تعريفه عند القدماء على مجرد ارتباط الآيات ببعضها معنويا يقول صاحب البرهان: "والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له"[1] ، بل إننا نجد عند القدماء من لا يشترط ذلك: "قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام المناسبة علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه"[2]، وبهذا نرى أن علم المناسبة اقتصر عندهم على مجرد الربط بين الآيات من حيث المعنى، وعلى هذا تكون الوحدة القرآنية أعم وأشمل من مصطلح علم المناسبة؛ إذ هي تبحث فيما هو أعمق من ذلك وأدق معنى وأشمل ارتباطا لتقدم المقصود الكلي للسورة الكريمة وتظهر الرباط بين موضوعاتها وقضاياها التي تباينت وتغايرت في ظاهرها، وبيان دوالها وصلتها في نفسها أو مع مجاورتيها أو مع فاتحة الكتاب العزيز.

ولأهمية هذا الوحدة في تناول كتاب ربنا العزيز غدا من الواجب علينا وقد كثرت التفاسير القرآنية الموضعية أن نلتفت إلى مثل هذه التفاسير التي تعنى بإظهار الوحدة القرآنية والعمل على ربط الموضوعات الفرعية لتتضح الموضوعات الرئيسة، فإن هذا أعم نفعا وأكثر خدمة لكتاب ربنا عز وجل، وعن

(١) البرهان ج١ ص٣٧.

(٢) البرهان ج١ ص٣٧.

هذا يقول الدكتور "محمد محمود حجازي": "إن من يغرق النظر في الآيات على أنها منفصلة تماما عن غيرها ولم ينظر نظرة إجمالية عامة في السورة، وفي هدفها العام لم على يحصل له إلا فهم ظواهر الألفاظ بحسب الوضع اللغوي فقط، لا بحسب المقصود الأعلى للمتكلم"[١]، ثم تطور في شرح المصطلح إلى أن قال: "السورة الواحدة وحدة كاملة لها هدف واحد قد يستتبع أغراضا مختلفة غالبا، والسورة الواحدة لها طابع خاص في اللفظ والسياق والفواصل وختام الآيات ولها في الوصول إلى هدفها طرق خاصة، وكل موضوع ذكر في السورة سواء كان قصة أم غيرها فهو مناسب كل المناسبة للسورة ولابد منه"[٢]، وهو كلام نفيس استخلصه صاحبه من أقوال من سبقه، وبهذا تتفتح أمامنا الآفاق القرآنية ونخلص إلى ما وراء المعاني الأولية لنصل إلى رؤية أعمق ومعنى أشمل.

ويؤيد هذه الرؤية ما رآه الإمام "محمد عبدالله دراز" في "النبأ العظيم" إذ يقول: "السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضعية بين جزء جزء منه، وهي تلك الصلات المبثوثة في مثاني الآيات ومطالعها ومقاطعها إلا بعد أن يحكم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون له معوانا على السير في تلك التفاصيل عن بينة"[٣] ، وهو رأي استنبطه أيضا من كلام الأئمة السابقين ولخصه بقوله: "إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية

(١) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، محمد محمود حجازي ص٤٨.

(٢) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ص٥٢ وما تليها.

(٣) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، د محمد عبدالله دراز، تخريج عبدالحميد الدخاخني، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، ص١٩٩.

الواحدة، وإنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية"[1]، وأطبقت على ذلك **القاعدة الخامسة** من قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل ونصها: "مهما أمكن جمع التفسيرات الجزئية في معنى كليّ فهو الأولى بأن يكون منهج المتدبر لكتاب الله"[2]، وأرشدت إلى المضي في تبني هذه النظرة الكلية التي هي أولى من النظرات الجزئية، وكان كل ما تقدم من آراء تعزيزا لرؤيتي التي قامت عليها دراستي، وزادتني قناعة في المضي.

(١) النبأ العظيم، ص١٩٩.

(٢) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل تأملات، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، ص٢٦.

المبحث الأول: الترابط النصي:

انتظمت سورة الشعراء في هندستها اللفظية على ثلاثة مقاطع متضامة تمثل وحدة واحدة متجانسة تظهر الوحدة القرآنية للسورة الكريمة في أتم تلاحمها وأنصع بيانها؛ فيحكي المقطع الأول منها عرض قضية الإيمان على مشركي مكة، ويمثل المقطع الثاني منها الإشهاد عليهم بعرض مشاهد الأنبياء السابقين مع أقوامهم وبيان إنجاء الله تعالى لمؤمنهم، وجزائه تعالى لمعاندهم، ويعود المقطع الثالث منها إلى الحديث عن دعوة نبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وموقف أهل مكة منه، ويبوح بهذه الرؤية **التناغمُ النصي** الذي يظهر في مكررات السورة اللفظية والأسلوبية والنغمية، **والحبك المعنوي** الكلي للسورة الكريمة، **وامتداد حواريتها** التي اشتملت السورة من أطرافها، ثم **عنوانها** الذي أخذ بمجامع هذه الثلاث السابقة وغدا دالة اختزنت جزئيات السورة الكريمة.

وإن المستبصر لكلية السورة لا لجزئياتها ليجد ثمة أدلة عديدة على هذه الرؤية، منها الأدلة اللفظية والأدلة المعنوية مما يوحي بعمومية نفع الاستبصار الكلي للسورة الكريمة عنه من استبصارها جزئية جزئية، إذ يجد الناظر أن المكررات اللفظية والتركيبة التي انتظمت السورة ومثلت رباطا بين أطرافها جعلت السورة وحدة فريدة في تركيبها المعنوي وانسجامها النغمي، وهذه المكررات أطلق عليها الأستاذ الدكتور "محمود توفيق": "لوازم معاقد المعاني الكلية"[(١)]، كما أطلق عليها الأستاذ الدكتور "كاظم الظواهري" اسم: "الدّوالّ جمع دالة"[(٢)]، وأرى أن المصطلح الثاني أعمّ في المعنى والوظيفة؛ "فالدوال أبنية أسلوبية تنتشر بنظام

(١) العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة، محمود توفيق محمد سعد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، ص٤٠.

(٢) الدوال وأثرها في إحكام بناء النص القرآني وتكامله، كاظم الظواهري، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالسادات، العدد الأول ١٤٤٣هـ ٢٠٢١م، ص٨.

دقيق مقصود في أرجاء النص تؤدي وظائف عدة في توجيه المتلقي لإدراك خط سير الأفكار في تسلسلها المنطقي المؤدي لتحقيق تصور متكامل لبناء النص والهدف الذي يرمي إليه"[1] ، وهي هنا في سورة "الشعراء" قد آتت أكلها على أكمل وجه؛ إذ عملت على تلاحم أطراف السورة وأسهمت في تحقيق المعنى الكلي المرتبط بمقصود السورة.

ويقول الدكتور "محمود توفيق" عن هذه اللوازم المتكررة: "يكون في بعض سور القرآن الكريم إعادةُ بعض الجمل أو الأنماط التركيبية الجزئية على نهجٍ متميِّزٍ لا يكونُ في غيرها، ومثل هذا فيه دلالةٌ على اعتناء السُّورة بما يتضمنه هذا العنصر التركيبيّ المصرف أو المكرّر فيها، لما له من مزيد اعْتلاقٍ بمضمونها وسياقها الكليّ ومقصودها الأعظم"[2]، وهكذا يتضح أن هذه الدوال لها دور مهم في تمتين العلائق الجزئية وانتظامها في نمط الدلالة الكلية للسورة، وهذا يرشح رؤية البحث التي تنظر إلى السورة بوصفها وحدة واحدة ذات أزمنة خطابية متعددة تنهض بعرض قضية الإيمان على قريش بدءا من الإعلام بالإسلام وانتهاء بالمصير المنتظر لكل فريق، وإن أي تقسيم لها أو فصل بين وحداتها يفقدها هذا الترابط النصي الذي هي عليه، وفيما يأتي تفصيل لنمطي الترابط النصي:

أولا: دوالّ السبك اللفظي:

انمازت الآيات الكريمات في سورة الشعراء من نغمية جرسها، وائتلاف أصواتها، وهذا يرجع أول ما يرجع إلى دوالها اللفظية المتكررة التي نهضت بهذا الدور، ومن هذه الدوال الآيتان: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ

(١) نفسه ص١٠.

(٢) العزف على أنوار الذكر ص١٢٢.

﴿لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٩﴾ اللتان تمثلان دالة من دوال التماسك النصي لمشاهد الأنبياء وربطها بمشهد سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم– مع قومه؛ إذ ختم بها المشهد الأول المفتتح للسورة الكريمة والمخبر عن إنكار المشركين لدعوة رسولنا الكريم، ثم ختم بها كل خبر من أخبار الأنبياء السابقين سادتي: "موسى، وإبراهيم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب" عليهم السلام، مما يرشح أن هذه القصص ما جاءت هنا في معرض إبلاغ الدعوة لقريش إلا تأكيدا على رسم الصورة الماضية متضمنة عرض القضية ورد المعروض عليهم، مشفوعا ذلك كله بالنصّ على الإنجاء لمن آمن وبيان العقاب الذي حل بالمنكر منهم، حتى يكون ذلك بشرى لمن يؤمن من قريش وإنذارا وتنبيها لمن يعاند منهم، فالإنجاء سيكون لمن آمن كما حدث للمؤمنين قبلهم، والعاقبة الوخيمة ستكون لمن عاند مثلما نالت تلك العاقبة من أنكر قبلهم، ويقول صاحب التحرير متحدثا عن سبب نزول سورة الشعراء الكريمة: "وأحسب أنها نزلت إثر طلب المشركين أن يأتيهم الرسول بخوارق ، فافتتحت بتسلية النبي (صلى الله عليه وسلم) وتثبيتا له ورباطة لجأشه بأن ما يلاقيه من قومه هو سنة الرسل من قبله مع أقوامهم مثل موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب؛ ولذلك ختم كل استدلال جيء به على المشركين المكذّبين بتذييل واحد هو قوله : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٩١﴾ (الشعراء : ١٩٠، ١٩١) تسجيلاً عليهم بأن آيات الوحدانية وصدق الرسل عديدة كافية لمن يتطلب الحق ولكن أكثر المشركين لا يؤمنون وأن الله عزيز قادر على أن ينزل بهم العذاب وأنه رحيم برسله فناصرهم على أعدائهم"[1].

(١) التحرير والتنوير.، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م ج١٩ ص٩١.

كاف الخطاب:

كما أن كاف الخطاب في قوله تعالى: "ربك" هي خطاب واحد متكرر للرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهو المنوط بالحكي؛ لذا فإن استبصار هذه اللفظة في موقعها المتكرر مع كل حكاية يرشدنا إلى ترابط الحكايات كلها مع الحكاية الأولى التي افتتحت بها السورة الكريمة، وبهذا تكون هاتان الآيتان رباطا بين خطاب قريش وخطاب الأمم السابقة، كما أن هاتين الآيتين فريدة من الفرائد التي اختصت بها سورة الشعراء؛ إذ لم يرد هذا التركيب في غيرها من سور القرآن الكريم مما يدل على قيمة هذه الدالة اللفظية في مواضعها ووظيفتها من حيث الربط اللفظي والمعنوي في السورة الكريمة.

تكرار الأمر بالتقوى:

كما تمثل الآيتان: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ المتكررتان خمس مرات مع تغيير اسم القوم واسم النبي في كل مرة وباستثناء كلمة "أخوهم" من المرة الخامسة؛ دالة تماسك نصي بين مشاهد الأنبياء في هذه السورة، ومع أن المرسل لكل قوم هو رسول واحد في كل مشهد مفتتح بهذه الآية إلا أن الآية عبرت بكلمة "المرسلين" جمعا، وهذا تأكيد لمقصد السورة الكريمة وهو أن رسالة الله على اختلاف أزمانها وأماكنها هي رسالة واحدة، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران:١٩)، وأن الرسل على تعاقب أزمانهم دعوتهم واحدة وأن المكذبين لهم تشابهت قلوبهم في الإنكار والتكذيب، وعليه فإن المكذب للواحد مكذب للكل، ومكذب لأصل القضية وهي قضية الإيمان بالله؛ ولهذا امتدح الله تعالى أمة حبيبه محمد –صلى الله عليه وآله وسلم– بأنهم يؤمنون بكل الأنبياء فيقول تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، وكذا مما يدل على اتحاد دعوة

الأنبياء –وهو كثير في القرآن الكريم– قوله تعالى في سورة إبراهيم بعد ذكر الأمم إجمالا: ﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾ (إبراهيم: ١٠)؛ فالنداء واحد من مجموع الرسل "قالت لهم رسلهم" والرد المكذب واحد من جميع معاندي الأمم "قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا".

وجاء تكرار الآية الكريمة: "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ" ثماني مرات مع مشاهد خمسة أنبياء: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، ليؤكد اتحاد أمر الأنبياء جميعا لأقوامهم بذات الأمرين: التقوى والطاعة، وهذا الأمر يمثل نوعا من الأساس الحواري الذي ينبني عليه خطاب الأنبياء لأقوامهم.

عدم سؤال الأجر:

ومن هذه الدوال اللفظية تكرار الآية الكريمة: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ خمس مرات، لتؤكد اتحاد موقف الأنبياء من أقوامهم حين لا يسألونهم أجرا على هدايتهم، وتلك القولة الكريمة تطابقت مع قولة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقومه: ﴿ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴾ (سبأ ٤٧) مما يمتن العلاقة أيضا بين خطاب الأنبياء السابقين وخطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

تكرار الألفاظ:

ومن التكرار النصي الألفاظ المفردة في كل مشهد من مشاهد السورة الكريمة؛ ففعل القول تكرر خمسين مرة، والفعل "كذب" تكرر على مدار السورة عشر مرات عبر المشاهد المتتابعة، والظرف "إذ" المقترن بالفعل الماضي "قال" تكرر ست مرات، وكل هذا يوثق العلاقة بين الآيات ويظهر حوارية السورة الكريمة، كما أنه يزيد من التماسك المنشود.

اتفاق الفواصل:

ومما يرشح التماسك النصي أيضا اتفاق نهايات الآيات "الفواصل"، وإن كان هذا سمة عامة في سور القرآن الكريم إلا أنه هنا في هذه السورة له مذاق خاص؛ إذ جاءت الفاصلة على حرف النون في أربع وتسعين ومائة آية بنسبة ٨٥.٤% من آيات السورة الكريمة، وجاءت على حرف الميم في ثلاثين آية أي بنسبة ١٣.٣%، وجاءت على حرف اللام في ثلاث آيات أي بنسبة ١.٣%، وهذا يوضح مدى الترابط اللفظي والنغمي للآيات الكريمات.

العودة إلى الحاضر:

ومن التماسك النصي في سورة الشعراء قراءة الخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ١١ ﴾، "فقد قرأ عبدالله بن مسلم بن يسار وشفيق بن سلمة وحماد ابن سلمة وأبوقلابة بتاء الخطاب، وقراءة الخطاب على طريقة الالتفات إليهم وجبههم وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم وإجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم وإلقائه في مسامعهم لأنه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس فلا يضر كونهم غيبا حقيقة في وقت المناجاة وفيه مزيد حث على التقوى لمن تدبر وتأمل"(١)، فالخطاب هنا يكون موجها لكفار قريش في أثناء ذكر مشهد سيدنا موسى عليه السلام مع قومه، وهذا الانتقال من حكاية سيدنا موسى عليه السلام إلى خطاب كفار قريش لمما يدل على التماسك الشديد –لفظا ومعنى– بين آيات مشهد سيدنا موسى وآيات مشهد سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع قومه.

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي – بيروت ج١٩ص٦٤.

رب العالمين:

ومن الترابط اللفظي بين آيات السورة الكريمة تركيب "رب العالمين" الذي تكرر إحدى عشرة مرة، فقد جاء على لسان :"موسى، وفرعون، والسحرة، وإبراهيم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، ووصف للقرآن الكريم"، مما يدل على اتحاد سياق السورة الكريمة واتحاد دعوة الأنبياء الموجهة لرب العالمين.

ثانيا: الحبك المعنوي:

يأتي التكامل العضوي بين جزئيات السورة الكريمة ليقدم الحبك المعنوي في أتم صوره وأوضح مقاصده، ومن هذا التكامل العضوي هنا ما تقدمه دلالة التركيب(١) بين الآيات هنا والآيات في سورتي الصافات والقمر من حيث تكرار آيتي التذييل المعقبتان لكل مشهد وهما هنا:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ وقد ذكرتا ابتداء قبل ذكر مشاهد الأنبياء السابقين ثم عقب بها كل مشهد، لكن الآية المعقبة في الصافات: "إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ" والآية المعقبة في سورة القمر "وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ" لم تذكرا إلا بعد ذكر مشهد سيدنا نوح عليه السلام، وهذا يفيد بأن مشاهد الأنبياء السابقين هنا ليست هي الفاتحة لقصص الأنبياء كما هو الحال في سورتي الصافات والقمر، بل إن مشهد سيدنا محمد مع قومه هو الفاتح هنا لقصص الأنبياء وليس

(١) ويقصد بدلالة التركيب هنا: "ضم نص إلى نص آخر متعلق به فيفهم من اقترانه به قدرا زائدا على ذلك اللفظ بمفرده" ينظر في ذلك: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية المتوفى سنة (٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ،١٤١١هـ – ١٩٩١م، ج١ ص٢٦٧، وقد قدمت دراسة الدكتور "محمد ولد سيدي عبد القادر" التي بعنوان: دلالة التركيب في القرآن الكريم (مفهومها– وحجيتها – ونماذج من تطبيقاتها) مجموعة تعاريف لدلالة التركيب وبيان أهميتها في فهم النص القرآني، ينظر ص١٦٨ وما بعدها من هذه الدراسة.

مشهد سيدنا موسى، مما يدل على الترابط العضوي بين مشهد سيدنا محمد والمشاهد اللاحقة له في السورة الكريمة، ومما يرشح ذلك أيضا الخطاب الإلهي في خواتيم السورة: "وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ" فالخطاب هنا بالاسمين الكريمين ذاتهما اللذين استعملهما القرآن الكريم في سرد مشاهد الأنبياء السابقين عليهم السلام، مما يعني أن هذه المشاهد المتلاحقة هي مشاهد متصلة المعنى لا انفصام بينها.

مقتضى العزيز الرحيم:

كما يتبين أن السورة التي تقدم: عرض قضية الإيمان على الأمم تقتضي أن يكون تبعا لذلك فريقان؛ فريق يؤمن وآخر يكذب وينكر، وهذا يقتضي اقتران الاسمين الكريمين هنا ؛ فالله تعالى يتجلى باسمه "العزيز" بالعاقبة الوخيمة علي المكذبين جزاء رفضهم دعوة الرسول، ويتجلى باسمه "الرحيم" بالرحمة والإنجاء على المؤمنين ثوابا على إيمانهم، وهذا ما توضحه الآية الكريمة من سورة إبراهيم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾ من انقسام الأقوام تجاه دعوة أنبيائهم.

الخواتيم والمضمون:

وإن هذه الآية الكريمة: "وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ" لمما يمتن العلاقة بين خواتيم السورة ومضمونها؛ فموقعها عقيب مشاهد الأنبياء السابقين وختمها بالاسمين الكريمين "العزيز الرحيم" مخاطَبا بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له دلالته: "أي الذي رأيت مظاهر عزته ورحمته فيما مضى، بحيث يورثك العرفان الكامل، والتوكل الأعلى، كيف وهو الذي يراك في أحوالك كلها، ويراك في أعلى مقامات عبوديتك مصليا في الليل منفردا، وإماما في الليل والنهار. وإذن فالصلة بين آيات الخاتمة وسياق السورة واضح في كل آية من آيات

الخاتمة"[١]، وهذا كله يزيد من الحبك المعنوي للسورة الكريمة وتعالق أطرافها بما يقدم الوحدة القرآنية في أتم صورها.

وهذا الجمع بين الاسمين العظيمين يحيطنا بالروح المهيمنة على السرد في السورة الكريمة التي تبين انقسام الناس تجاه عرض قضية الإيمان وبيان جزاء كل قسم، ويدل على ذلك ما أورده العلامة الدكتور "محمود توفيق" منبها لذكر أسماء الله الحسنى في السورة فيقول: "ولتوارد أسماء الله الحسنى في سورة ما على نحو خاص مزيد عناية بملاحظة وتدبُّر اعتلاق معانيها بسياق ومقصود السورة التي هي فيها، فالله – عز وجل – لا يقيم اسمًا من أسمائه الحسنى إلا في سياقه ليدل على ما يترادف من فيوض المعاني على ذلك السياق"[٢]، ثم يتحدث عن صلة الاقتران بين الاسمين العظيمين "العزيز الرحيم" إذ يقول: "ومثل هذا الاستبصار رافد من روافد فقه الروح المهيمن على بيان السورة، فإذا ما لاحظنا معه أمراً آخر هو اقتران بعض الأسماء مع بعض على نحو فريد في بعض السور كان ذلك أيضاً معينا على معرفة معالم المقصود الأعظم؛ فاسمه (العزيز الرحيم) لم يأت على ذلك النحو كمثل ما جاء في سورة (الشعراء) بل لم يرد فيها اسمه (العزيز) أو اسمه(الرحيم) إلا مقترنين مع تقديم (العزيز) على (الرحيم) على الرغم من أن الذى هو شائع في القرآن الكريم اقتران اسمه (العزيز) باسمه (الحكيم)، ومن الجدير بالملاحظة أنَّ كلمات الأسرة اللغوية إذا ما تكاثر تواردها في سورة ما كان في هذا آية على هيمنة ما تلتقى عليه تلك الكلمات دلاليا على موضوع السورة، ذلك أنَّ حشد مفردات هذه الأسرة اللغوية وتَجْييشها في سورة واحدة لن يكون عملاً عقيماً أو عابثاً، فهو تنزيل من عزيز حكيم عليم

(١) الأساس في التفسير ، ج٧ ص٣٩٦٠.

(٢) العزف على أنوار الذكر ص١٢٦.

حميد"[1]، وهكذا يتبين اقتضاء الدلالة المعنوية هنا لذكر الاسمين العظيمين متضامين عقيب كل مشهد نبوي؛ ففي طيات وظائفهما يظهر تجلي الله تعالى الأكبر على الأمم، وفي الوقت ذاته قدما رابطا من الروابط العضوية لمحتوى السورة الكريمة.

دلالة التركيب:

ومن دلالة التركيب التي تمتن العلاقة بين مشاهد الأنبياء في هذه السورة الكريمة ومشهد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى في هذه المشاهد: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ وقوله: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ وقوله: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ وقوله: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾، وكل هذه الآيات تفيد أن كل رسول كان يبعث من قومه وإلى قومه الذين يعيش بين ظهرانيهم، وكذلك نبينا محمد بعث إلى قومه الذين كان يعيش بين ظهرانيهم كما بين ذلك قوله تعالى من سورة "التوبة": "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ" والجمع بين الآيات هنا يفيد اشتراك نبينا مع إخوته من الأنبياء الذين سبقوه في خصوصية الابتعاث إلى قومه خاصة، ويزيد عليهم نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في عمومية الابتعاث إلى العالمين جميعا كما يبين ذلك قوله تعالى في سورة "سبأ": ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

تكرار المضمون:

ومن التماسك المعنوي هنا تكرار بعض المعاني والألفاظ في مواضع محددة دون المواضع الأخرى؛ فقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ تكرر ثماني مرات في هذه السورة من أصل عشر مرات في القرآن الكريم كله، فتكرر مرتين

(١) العزف على أنوار الذكر، ص١٢٧.

مع مشهد سيدنا نوح مع قومه، ومع مشهد سيدنا هود مع قومه، ومع مشهد سيدنا صالح مع قومه، بينما جاء مرة مفردة مع مشهدي: لوط وشعيب عليهما السلام؛ إذ إن إفساد قوم نوح وعاد وثمود كان أكثر من إفساد قوم لوط وأصحاب الأيكة، فتناسب التكرار هنا مع المعنى المساق له.

ومن التماسك المعنوي في السورة الكريمة قوله تعالى: "إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ" الذي جاء متكررا خمس مرات مع أنبياء الله تعالى: "نوح وهود وصالح ولوط وشعيب" من أصل ست مرات في القرآن الكريم كله، فأنبياء الله تعالى هنا وصفوا بلقبي "رسول أمين" ومن المعلوم أن هذا هو الوصف الذي أطلق على سيدنا محمد في مكة إذ كان يلقب "بالصادق الأمين"، ورسولنا يتفق معهم في لقب الرسالة، ما يجعل الألقاب هنا رباطا بين الأنبياء جميعا، كما أنها رباط بين هذه المشاهد التي تحكي قصة كل "رسول أمين" مع قومه مع مشهد الرسول الذي هو "رسول أمين" مع أهل مكة.

الاقتصار دون التفصيل:

ومن التماسك المعنوي في السورة الكريمة أن حكاية الأنبياء السابقين هنا لم تذكر تفاصيل دعوتهم بل جاءت موجزة مقتصرة على عرض قضية الإيمان على الأقوام ثم بيان رد هؤلاء الأقوام على أنبيائهم وانقسامهم فريقين وبيان جزاء كل فريق، دون الخوض في تفصيل مجريات حيواتهم كما جاء في غيرها من السور؛ فقصة سيدنا موسى هنا لم تذكر التفصيلات التي جاء ذكرها في سور "الأعراف، وطه، والقصص"، وقصة سيدنا إبراهيم لم تذكر التفصيلات التي جاءت في سور "البقرة، والأنعام، والأنبياء" وكذلك بقية الأنبياء هنا لم يذكر معهم إلا ما كان من إعلامهم بقضية الإيمان، وهذا مما يتناسب معنويا مع السورة التي جاء بها الإعلام بالجهر بالدعوة: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ فالاقتصار على الحدث الرئيس هنا أنفع وآكد لدى

المستمعين لأن ما نحتاج معرفته هنا هو كيفية الجهر وبيان ردة الفعل حتى نكون على بينة من الأمر.

مرجعية اسم الإشارة:

كما يظهر الترابط العضوي في قوله تعالى: "إن في ذلك لآية" الأولى التي صرف المفسرون مرجعية اسم الإشارة فيها إلى دلالة الآية السابقة عليها: "أولم يروا إلى الأرض.."؛ لكن الحبك المعنوي بين مشاهد الأنبياء ومتواليات السرد هنا يشيران من طرف ظاهر إلى أن مرجع اسم الإشارة قد يكون إلى قضية التوحيد الذي ذكر قبلها وهو مناط سرد قصص الأنبياء السابقين، وما يترتب عليه من الإنجاء والهلاك أو التبشير والإنذار، وبهذا يرتبط هذا المشهد بالمشاهد اللاحقة له التي اختتمت بهذا القول الإلهي واختصت بها السورة الكريمة.

عطف التلقين:

ومن أدوات التماسك المعنوي في السورة الكريمة "**عطف التلقين**" وهو عطف المخاطَب كلاماً على ما وقع في كلام المتكلم تنزيلاً لنفسه في منزلة المتكلم، ليكمِّل شيئا تركه المتكلم إما عن غفلة وإما عن اقتصار فيُلقنه المخاطَب ما تركه بحيث يلتئم من الكلامين كلام تام، وقد جاء في قوله تعالى: "قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢)"، "وجواب نوح عن كلام قومه يحتاج إلى تدقيق في لفظه ومعناه، فأما لفظه فاقتران أوله بالواو يجعله في حكم المعطوف على كلام قومه تنبيهاً على اتصاله بكلامهم، وذلك كناية عن مبادرته بالجواب كما في قوله تعالى حكايةً عن "إبراهيم عليه السلام" "قال ومن ذريتي" "البقرة : ١٢٤" بعد قوله: "قال إني جاعلك للناس إماماً" "البقرة : ١٢٤". ويسمى عطفَ تلقين مراعاةً

لوقوعه في تلك الآية والأوْلى أن يسمى عطف تكميل"[١]، وفي موضع سابق يرى الإمام أن نطلق عليه "التلقين" فقط دون كلمة عطف فيقول: "والأَوْلى أن تحذف كلمة عطف ونُسميَ هذا الصنفَ من الكلام باسم التلقين وهو تلقين السامع المتكلمَ ما يراه حقيقاً بأن يُلحقه بكلامه، فقد يكون بطريقة العطف وهو الغالب كما هنا[٢]، وقد يكون بطريقة الاستفهام الإنكاري والحال كقول تعالى: (قالوا بل نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنَا عليه آباءنا أَوْ لَوْ كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً) (البقرة : ١٧٠) فإن الواو مع (لو) الوصلية واو الحال وليس واو العطف فهو إنكار على إلحاقهم المستفهم عنه بقولهم ودعواهم ، وقد يكون بطريقة الاستثناء كقول العباس لمَّا قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في حَرَم مكة (لاَ يُعْضَدُ شَجَرُهُ) فقال العباس إلاَّ الإذْخِرِ لِبيُوتنا وقَيْنِنَا"[٣]، والأولى منهما أن نطلق عليه استدراكا سواء قبله المحاور أم لم يقبله.

وقد جاء هذا النوع من العطف في السورة الكريمة في موضع سابق في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ قال الإمام الآلوسي هنا حكاية عن الإمام الطيبي: "يمكن أن يقال إن الواو عاطفة وهي تستدعي معطوفا عليه وهو ما سبق في أول المكالمة بين نبي الله تعالى وعدوه والهمزة مقحمة بين المعطوف والمعطوف عليه للتقرير والمعنى أتقر بالوحدانية وبرسالتي أن جئتك بعد الاحتجاج بالبراهين القاهرة والمعجزات الباهرة الظاهرة"[٤]، وهذا النوع من العطف يمتن العلاقة المعنوية والدلالية بين آيات الحكاية الواحدة كما نرى؛ إذ يجعل كلام المخاطب متحدا مع

(١) التحرير ج١٩ ص١٦٠.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى" قال ومن ذريتي.." البقرة ١٢٤.

(٣) التحرير ج١ ص٧٠٤.

(٤) روح المعاني، ج١٩ ص٧٥.

كلام المتكلم مما يؤدي إلى تكامل الكلامين وفي هذا ما فيه من السبق على المتكلم "فرعون" وتسييره في مسار المخاطَب "موسى" دون أن يستطيع أن يغير مسار الحديث إلى الوجهة التي يريد.

تتابع السرد:

ومن ألوان التماسك المعنوي في هذه السورة الكريمة تتابع السرد القصصي دون التقديم بحروف عطف في بداية المشاهد النبوية؛ فنجد أن المشهد النبوي مع سيدنا نوح يبدأ بقوله تعالى:﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ ، ومشهد سيدنا هود يبدأ بقوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ ، ومشهد سيدنا صالح يبدأ بقوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾، ومشهد سيدنا لوط يبدأ بقوله تعالى:﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ ، ومشهد سيدنا شعيب يبدأ بقوله تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ ، وهذه المشاهد مصدرة بقوله تعالى "كذبت" وهو في تأويل "قل يا محمد كذبت.."، وقد "ذكر غير واحد أن الجمل المفتتحة بالقول إذا كانت مرتبا بعضها على بعض في المعنى فالأصح أن لا يؤتي فيها بحرف اكتفاء بالترتيب المعنوي وقد جاء في سورة الشعراء من ذلك كثير بل القرآن مملوء منه"[1]، فنجد أن الرباط المعنوي بين هذه المشاهد والمشهد الافتتاحي الخاص بمشهد سيدنا محمد مع قومه قد أغنى عن إيجاد حرف العطف بين هذه المشاهد المتتابعة.

تشابه النهايات:

ومن ألوان التماسك المعنوي هنا تشابه نهايات المشاهد القصصية للأنبياء السابقين مع نهاية المشهد المحمدي: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ

(١) روح المعاني، ج١ ص٢٢٦.

رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ فهاتان الآيتان ختم بهما المشهد المحمدي في مفتتح السورة كما ختم بهما كل مشهد من مشاهد الأنبياء السابقين وتشابه النهايات يدل على تشابه البدايات وإن اختلفت ظاهرا؛ فقد اختلف المعاندون لكل نبي من حيث الزمان والمكان والمكانة التي يحتلونها في أقوامهم، لكن العناد الحاصل منهم يمثل التشابه بينهم جميعا مما ينبئ بأن الاختلاف هذا اختلاف ظاهري فقط أما حقيقة الأمر أنهم متشابهون في الصد عن دعوة الرسل وهذا يبدو لي أنه من أهم أسباب ذكر قصص الأنبياء في القرآن الكريم.

الأسلوب اللغوي:

ومن الآيات التي تمتن خاتمة السورة بما تقدم من السورة الكريمة قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ فهذه الآية دالة من دوال الترابط المعنوي في هذه السورة الكريمة؛ ذاك أن السورة تتحدث فيما تتحدث من مبدأها إلى نهايتها عن القرآن الكريم والجهر بالدعوة، فجاءت هذه الآية وما قبلها لتدلل على نسبة القرآن الكريم إلى الله تعالى بشهادة علماء بني إسرائيل، لكن أكثر المفسرين قد اقتصروا في تفسير هذه الآية على أنها دليل على معرفة بني إسرائيل بالقرآن وبرسالة الإسلام وبرسول الإسلام كما هو موصوف في كتبهم وأيده القرآن نفسه بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، بل إن بعض المفسرين خصص أشخاصا بأعيانهم مثل: "عبدالله بن سلام وسلمان"، وقد أرسل أهل مكة إلى بني إسرائيل في المدينة: "يَسْأَلُونَهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا لَزَمَانُهُ، وَإِنَّا لَنَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ نَعْتَهُ وَصِفَتَهُ. فَيَرْجِعُ لَفْظُ الْعُلَمَاءِ إِلَى كُلِّ مَنْ كَانَ لَهُ عِلْمٌ بِكُتُبِهِمْ أَسْلَمَ أَوْ لَمْ يسلم على هذ الْقَوْلِ. وَإِنَّمَا

صَارَتْ شَهَادَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ حُجَّةً عَلَى الْمُشْرِكِينَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرْجِعُونَ فِي أَشْيَاءَ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ، لِأَنَّهُمْ مَظْنُونٌ بِهِمْ عِلْمٌ"[1]، لكني أرى أن موقع هذه الآية قبل الآيات التي جاء فيها ذكر الشعراء –وهم المعنيون بالأساليب البيانية– فيه إشارة بأن المقصود هنا كيفية من كيفيات علم أهل الكتاب بصحة نسبة القرآن الكريم إلى الله تعالى ويقينهم من ذلك، وهذا اليقين جاءهم لأن أسلوبه اللغوي يفارق كتبهم المحرفة التي بين أيديهم؛ فالكتاب إذا كان منزلا من عند الله تعالى نجد الحديث فيه بصيغة المتكلم كما في غير موضع من القرآن الكريم من مثل قوله تعالى:﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ (طه: ١٤) أو مثل قوله تعالى:﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (القصص: ٣٠)، أما التوراة المحرفة التي بين أيدي بني إسرائيل فصيغة الحديث فيها بصيغة الغائب: "قال الرب" حيث إنهم يجهلون من نقل إليهم الكلام المكتوب في التوراة وصيغة الكلام فيها تدل على أن كاتبها ليس هو الله تعالى وليس هو سيدنا موسى عليه السلام، وذلك مثل قول التوراة في مفتتح سفر التكوين: "في الأول خلق الله السماء والأرض، .. وقال الله ليكن النور وكان النور، ونظر الله أن النور حسن، وفصل الله بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهارا .."[2]، لذا فهي عندهم كتبت من قِبل طرف ثالث غير مقدس، وعليه فالكلام الذي كتب من شخص غير مقدس هو كلام غير مقدس، ما جعلهم يحرفون فيها كما يريدون

(١) الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي ، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م ج١٣ ص١٣٩.

(٢) التوراة ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، تحقيق وتقديم أد/ سهيل زكار، دار قتيبة بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، ص١٠٣.

وينظرون إليها على أنها كتاب تاريخ بجانب بعض الوصايا التي تخص شريعتهم، وعليه فالتلمود الذي كتبه حاخاماتهم هو أقدس عندهم من التوراة، ولعل هذا يفسر لنا بعض حسدهم إيانا؛ إذ بين أيدينا القرآن الكريم الكتاب الذي نثق أنه من عند الله، وأنه تعالى قد اختصنا بأفضل رسله وجعلنا أفضل الأمم، وقد أخبر القرآن بحسدهم هذا في قوله تعالى:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ١٠٩)، وهكذا يبين موضع الآية الكريمة:﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ أن الإشارة إلى البناء الأسلوبي للقرآن الكريم تثبت عند بني إسرائيل أن القرآن الكريم كتاب منزل من عند الله تعالى وليس من تحريفات البشر كما هو كتابهم، وهذا يثبت عند أهل مكة –بعد سؤالهم بني إسرائيل– أنه كتاب منزل من عند الله تعالى وليس من إفك الشياطين أو إنشاد الشعراء.

الإنذار لقريش:

ومن الدوال المعنوية هنا قوله تعالى:﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ تلك الدالة التي تأخذ بمجامع الآيات الكريمات قبلها التي نهضت بحكاية مشاهد الأنبياء وما احتوته من إنذارات للأقوام السابقة، وعليه فكل إنذار قد مر ذكره في مشاهد الأنبياء هو متضمَن معنويا في هذه الدالة "وأنذر" وموجه إلى قريش.

المبحث الثاني: أزمنة الخطاب في السورة:

يؤدي البناء الزماني دورا مهما في البناء الفني للنص من حيث ربط الأحداث المتفرقة زمانيا في سياق واحد وترابطها في حبكتها، وهذا البناء الزماني يتنوع بحسب مسار النص الذي ينهض به؛ وذاك لأن الحكاية تأتي على زمانين رئيسين هما زمن القصة وزمن الخطاب: "وزمن القصة مرتبط بالترتيب المنطقي للأحداث؛ فلا يولد حدث إلا على سبيل الضرورة أو الاحتمال من الذي قبله؛ فلو كان عندنا مثلاً ثلاثة أحداث هي على التوالي (أ – ب – ج) فلا يحدث الحدث (ب) إلا بسبب من الحدث (أ)، وكذلك لا يحدث الحدث (ج) إلا بسبب من الحدث (ب)، بينما زمن الخطاب غير مرتبط بالترتيب المنطقي للأحداث"[1]، وهذا يجعلنا نرى تداخلا للأزمنة الخطابية عبر الزمن القصصي ما ينتج عنه لطائف مقصودة في الحكي وروابط للأطراف يجعل الحكايات حكاية واحدة وإن تفرقت ظاهرا.

وإن الاستبصار المتأني للبناء الزمني للسورة الكريمة "الآني والاسترجاعي والاستباقي" –بالإضافة إلى ما تقدم ذكره من الترابط اللفظي والمعنوي– من حيث تداخله يبين أن السورة كلها وحدة متجانسة تمثل قصة واحدة متعددة الأزمنة؛ منها الزمن الآني ويمثله جزآن من السورة الكريمة؛ جاء الجزء الأول في مفتتح السورة من أولها إلى الآية التاسعة: ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ۝٥ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ

(١) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م. ص٧٣.

أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ ، الـذي يصـور حالـة تكـذيب مشركي مكة وإعراضهم عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا المشهد اقتضى **استرجاعا زمنيا** يكون إشهادا على أهل مكة وإقامة للحجة عليهم وهو ما سنجده في حكاية مشاهد الأنبياء السابقين، وجاء الجزء الثاني من الزمن الآني في اختتام السورة الكريمة ويمثله الحديث عن القرآن الكريم ونسبته إلى الله تعالى، والأمر بالجهر بالدعوة.

الاسترجاع الزمني:

إن استعادة أحداث الزمن الماضي في الحوار يعد حكاية ثانية تتدرج داخل إطار الحكاية الأولى وذلك لوظائف تقدمها هذه الحكاية الثانية، ويتمظهر الاسترجاع هنا في قصص الأنبياء السابقين المكتنزة فوائد متعددة، وأول هذه الفوائد هنا هو أن تقدم المثل والعظة إذ إن أحداث الماضي وهي عرض قضية الإيمان على الأقوام السابقة تشابه الأحداث الحالية وهي عرض قضية الإيمان على أهل مكة، مما يكون موجها بصفة مباشرة إلى أهل مكة للإفادة من هذا العرض، لذلك نجد الحديث هنا انتقل إلى الزمن الماضي ليحكي مشاهد الأنبياء السابقين بعرض متعدد امتد من الآية العاشرة حتى الآية الحادية والتسعين بعد المائة أي بنسبة ٧٩.٧ % من السورة الكريمة، وهذه النسبة الكبيرة لها دلالتها في توجيه النظر إلى العواقب المترتبة على إبلاغ الدعوة إلى الأقوام السابقين من حيث الإنجاء والإهلاك، وهذه المشاهد هي مشاهد الأنبياء: "موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب" –عليهم السلام– مع أقوامهم، وهي مشاهد تشترك مع المشهد الافتتاحي مبنى ومعنى، فالتكذيب الحاصل من الأقوام السابقين ثم المآل الذي آلت إليه نهايتهم هما مناط التشابه المعنوي الموجه إلى أهل مكة، وأما الآيتان المعقبتان لكل مشهد " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)" فهما دالة من دوال التشابه اللفظي كما مر في السبك

اللفظي، وهذا الاسترجاع يمثل **الإشهاد على قريش بذكر المشاهد السابقة للأنبياء السابقين مع أقوامهم الذين عاندوا وكذبوا مثلما يفعل مشركو مكة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الآن**؛ فقد تظاهرت كتب التفاسير – بتنوعها ودقتها– على أن من مناط سرد القصص في القرآن الكريم هو معرفة أخبار السابقين حتى تنقطع صفة الأمية عن الأمة العربية كما وصفهم بها أهل الكتاب السابقون، وحتى يكون لهم فيهم عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ولم تأت هذه المشاهد للأنبياء هنا على الترتيب الزمني لهم بل جاءت على ترتيب زمن الخطاب حسبما جاء في سورة الفرقان السابقة عليها في ترتيب المصحف الشريف؛ إذ ابتدأت بمشهد سيدنا موسى ومن بعده الأنبياء: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الفرقان: ٣٥:٣٧)؛ وتفصيلها كالآتي:

مشهد سيدنا موسى –عليه السلام– واستغرق من الآية العاشرة حتى الآية الثامنة والستين، وذكر في هذا المشهد لقاء سيدنا موسى ومحاجة فرعون له، ثم مشهد السحرة وإيمانهم بالله تعالى، ثم ملاحقة فرعون لسيدنا موسى ومن تبعه من المؤمنين، وانتهى المشهد بنجاة سيدنا موسى وغرق فرعون، وهذا المشهد جاء بشيء من التوضيح إذا ما قورن بمشاهد الأنبياء الآتي ذكرهم بعده إذ جاء ذكر مشاهدهم بشيء من الإجمال، وأرى أن ذلك قد يكون لأن الأنبياء الآتي ذكرهم يمثل كل نبي منهم موقف أمة هي أمته التي أرسل إليها، ولا شك أن أمة بني إسرائيل قد بعث إليهم أكثر من نبي، والعبرة من سوق مشاهد الأنبياء هنا هي حشد الأمثلة إلى قريش لتأخذ العظة من الأمم السابقة لمعرفة جزاء العناد والتكذيب لرسل الله تعالى، وليس حكاية تفاصيل كل مشهد للأنبياء السابقين مع أقوامهم، كما أن سيدنا موسى عليه السلام قد اختص بأنه أرسل إلى أمتين؛ إلى

فرعون وقومه وبني إسرائيل وغيره –عدا سيدنا محمد – قد أرسل إلى أمة واحدة؛ فتناسب مع ذلك أن يكون مشهد سيدنا موسى مسرودا بشيء من التوضيح وذلك عوضا عن ذكر بقية الأنبياء الذين أرسلوا إلى بني إسرائيل، وكأنهم مجملون في قصة سيدنا موسى.

ولم نر في مشهد سيدنا موسى هنا ذكرا لأمه وما حدث له وهو صغير كما في سور: "الأعراف وطه والقصص" مثلا، لأن مناط سوق القصة هنا يكفي فيه المشهد المحكي، وهذا مما ينفي شبهة التكرار التي يلوكها بعض من ليس لهم ذوق بالعربية وأساليبها التي تكتفي بذكر ما له مزيد اختصاص بالموقف المحكي إذ يذكر ما يُحتاج إلى معرفته فقط.

والقراءة الأخرى التي سبق ذكرها في قوله تعالى: "ألا تتقون" تمثل عودة من الزمن الماضي إلى الزمن الآني، وباستكمال الآيات الخاصة بمشهد سيدنا موسى بعدها يكون الحكي قد رجع إلى الزمن الماضي مرة أخرى، وهذا على سبيل إثارة الذهن ومواجهة المخاطبين بسؤال توبيخي على إنكارهم الحاصل وعدم أخذ العربة من مشاهد الأمم السابقة.

ثم مشهد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع قومه من الآية التاسعة والستين إلى الآية الرابعة بعد المائة، وقد حكي هذا المشهد بشيء من التوضيح أيضا لأن عبادة الأصنام عامل مشترك بين قوم سيدنا إبراهيم وقريش، ولتشابه محاجة قوم سيدنا إبراهيم مع محاجة قريش؛ فهما عبدا الأصنام ورفضا توحيد الله تعالى بالألوهية.

ثم مشاهد سادتنا: "نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب" عليهم السلام، وقد جاءت هذه المشاهد بشيء من الإجمال يتناسب مع فائدة ذكرهم هنا وهي بيان الجزاء الذي وقع لأقوامهم نتيجة عنادهم وتكذيبهم أنبياءهم، بالإضافة إلى بيان الناجين الذين كان إيمانهم سببا في نجاتهم.

الاستباق الزمني:

ثم يعود الحكي إلى الزمن الآني مرة أخرى ويمثله المشهد الختامي الذي يمثل عودة الخطاب لمشركي مكة بقوله تعالى:﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ لكننا نجد أن هذا المشهد يتخلله **ققزات استباقية؛** فالآيات تبين أن أهل مكة إن لم يتعظوا بما سيق لهم من مشاهد الأمم السابقة ومصايرهم التي لقوها جزاء تكذيبهم فسيكون مصيرهم هو هو المصير ذاته من الخسف في الدنيا والعذاب في الآخرة.

كما ينتقل الحديث إلى حكاية الشعراء الذين وصفهم الله بأنهم غاوون يهيمون في كل واد إلا الفئة المؤمنة التي دافعت عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى رأسهم "حسان بن ثابت"، ويرى فريق من العلماء بأن السورة كلها مكية ومنهم الإمام "الطاهر بن عاشور" صاحب "التحرير" إذ يقول: "وعن مقاتل: أن قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الشعراء : ١٩٧) نزل بالمدينة . وكان الذي دعاه إلى ذلك أن مخالطة علماء بني إسرائيل كانت بعد الهجرة، ولا يخفى أن الحجة لا تتوقف على وقوع مخالطة علماء بني إسرائيل؛ فقد ذكر القرآن مثل هذه الحجة في آيات نزلت بمكة، من ذلك قوله:﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ في سورة الرعد(٤٣) وهي مكية، وقوله:﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ (في سورة القصص(٥٢) وهي مكية، وقوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ ﴾ في سورة العنكبوت (٤٧) وهي مكية، وشأن علماء بني إسرائيل مشهور بمكة وكان لأهل مكة صلات مع اليهود بالمدينة ومراجعة بينهم في شأن بعثة محمد كما تقدم عند قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ ﴾ في

سورة الإسراء (٨٥)، ولذا فالذي نوقن به أن السورة كلها مكية"[١]، وقد نص الإمام هنا على أن الإشارة هنا إلى شعراء المدينة فقال: "وكذلك من أسلموا من الأنصار كعبد الله بن رَواحة، وحسانَ بن ثابت ومن أسلم بعدُ من العرب مثل لَبيد، وكعب بن زهير، وسُحيم عبد بني الحسحاس، وليس ذكر المؤمنين من الشعراء بمقتضي كون بعض السُّورة مدنيّاً كما تقدم"[٢]، وعلى الرأي الذي يقول بأن السورة كلها مكية تمثل هذه الآيات قفزة استباقية تحكي مشاهد من حياة الرسول في المدينة حين كان شعراؤه يدافعون عنه وعن الإسلام ضد هجّائي قريش.

ومما يعد من الاستباق الزمني أيضا في هذا المشهد ما حكاه القرآن الكريم عن حال الكافرين بعد عدد من السنين:﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ وهو مشهد مستقبلي باعتبار زمن القصة، كما أن هذا المشهد لم يختم بالآيتين المعقبتين إشارة إلى أن قصة رسولنا الكريم هي القصة الخاتمة لقصص الأنبياء التي لم توضع لها النهاية بعد؛ لأن نهايتها تأتي مع إتيان يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

ومما يعد من الاستباق قوله تعالى حكاية عن أهل مكة:﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ وأسند نفي الإيمان إلى أكثرهم لأن قليلاً منهم يؤمنون **حينئذ أو بعد ذلك**، و (كان) هنا مقحمة للتأكيد على رأي سيبويه والمحققين"[٣]، وبعلمه تعالى الأزلي يخبرنا بعدم إيمان أكثرهم الذي وقع منهم، وعن هذا يقول صاحب اللباب: "وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ: مصدقين أي: سبق علمي فيهم أن

(١) التحرير والتنوير، ج ١٩ ص٩٠.
(٢) التحرير والتنوير ج١٩ ص٢١١.
(٣) التحرير والتنوير ج١٩ ص١٠٢.

أكثرهم لا يؤمنون"[١]، فهذا إخبار بما سيقع منهم في المستقبل بعد زمان الحكي هنا.

ومما يعد من الاستباق الزمني ما حكاه الإمام الآلوسي نقلا عن شيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري قوله في قوله تعالى: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧)" وقد سلك شيخ الاسلام في تفسير الآية مسلكا تفرد في سلوكه فيما أظن فقال: "وما كان أكثرهم أي أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عليه الصلاة و السلام مؤمنين لا بأن يقيسوا شأنه صلى الله عليه و سلم بشأن موسى عليه السلام وحال أنفسهم بحال أولئك المكذبين المهلكين ولا بأن يتدبروا في حكايته عليه الصلاة والسلام لقصتهم من غير أن يسمعها من أحد مع كون كل من الطريقين مما يؤدي إلى الايمان قطعا، ومعنى ما كان أكثرهم مؤمنين ما أكثرهم مؤمنين على أن كان زائدة كما هو رأي سيبويه فيكون كقوله تعالى "وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين" **وهو إخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعد سماع الآيات الناطقة بالقصة تقريرا لما مر من قوله تعالى "ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا" الخ وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه**"[٢]، ثم يوافق الإمام الآلوسي على هذا الرأي بقوله: "وأنا أختار كما اختار شيخ الإسلام من رجوع الضمير إلى قوم نبينا عليه الصلاة و السلام وأول السورة الكريمة وآخرها في الحديث عنهم وتسليته صلى الله عليه و سلم عما قالوه في شأن كتابه الأكرم ونهيه صريحا وإشارة أن يذهب بنفسه الشريفة عليهم حسرات

(١) اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٩ هـ –١٩٩٨ م، الطبعة : الأولى، ج١٥ ص٧.

(٢) روح المعاني ج١٩ ص٩١.

وكل ذلك يقتضي اقتضاء لاريب فيه رجوع الضمير إلى قومه عليه الصلاة و السلام، ويهون أمر عدم رجوعه إلى الأقرب لفظا ويكون الارتباط على هذا بين الآيات أقوى"[١]، كما يؤيد هذا المذهب قراءة "ألا تتقون" التي تخاطب أهل مكة، وليس "ألا يتقون" التي تحكي قصة السابقين.

والحق أن المفسرين انقسموا في تفسير مرجع الضمير في قوله تعالى المتكرر: "وما كان أكثرهم مؤمنين" فمنهم من يرجع الضمير إلى قوم النبي المذكور قبلها ومنهم الإمام "القرطبي" الذي يفهم ذلك من كلامه إذ يقول: "{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} لأنه لم يؤمن من قوم فرعون إلا مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وابنته آسية امرأة فرعون، ومريم بنت موسى العجوز التي دلت على قبر يوسف الصديق عليه السلام"[٢]، ومنهم من يرجع الضمير في هذه الآيات إلى قوم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كالإمام الطبري إذ يقول:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾: وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين بما أتاك الله من الحقّ المبين، فسابق في علمي أنهم لا يؤمنون"[٣] ، ولفظة كان هنا لا تفيد الماضي: " و {كَانَ} هنا صلة في قول سيبويه ؛ تقديره : وما أكثرهم مؤمنين"[٤]، ويفهم من كلام الإمام "الطاهر بن عاشور" مرجع الضمير إلى كفار مكة إذ يقول:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ تكرير ثالث لهاته الجملة تعداداً على المشركين وتسجيلاً لتصميمهم . واسم الإشارة إشارة إلى كلام إبراهيم

(١) روح المعاني ج١٩ ص٩٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج١٣ ص١٠٧.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، ج١٩ ص٣٦١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج١٣ ص٩٠.

عليه السلام فإن فيه دليلاً بيّناً على الوحدانية لله تعالى وبطلان ألوهية الأصنام، فكما لم يهتد بها قوم إبراهيم فما كان أكثر المشركين بمكة بمؤمنين بها بعد سماعها، ولكن التبليغ حق على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد تقدم الكلام على نظير هذه الآية "[1]، ومنهم من يجوّز مرجع الضمير إلى قوم النبي المذكور أو إلى قوم سيدنا محمد كالإمام ابن عجيبة إذ يقول:﴿ وَمَاكَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي: وما كان أكثر هؤلاء المكذبين الذين سمعوا قِصَصهم منه – عليه الصلاة والسلام – مؤمنين، فلم يقيسوا حاله صلى الله عليه وسلم بحال موسى، وحال أنفسهم بحال أولئك المهلَكين، ولم يتدبروا في حكايته صلى الله عليه وسلم لقصتهم من غير أن يسمعها من أحد، مع كونه أمياً لا يقرأ، وكل من الطريقين مما يؤدي إلى الإيمان، قطعاً لانهماكهم في الغفلة، فكان على هذا زائدة، كما هو رأي سيبويه، فيكون قوله تعالى: {وَمَآ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} [يوسف : ١٠٣] وهو إخبار منه تعالى بعدم إيمانهم في المستقبل، أو: وما كان أكثر أهل مصر مؤمنين بموسى عليه السلام، قال مقاتل: لم يؤمن من أهل مصر غير رجل وامرأتين؛ حزقيل المؤمن من آل فرعون، وآسية امرأة فرعون، ومريم بنت ياموشى، التي دَلَّتْ على عظام يوسف"[2]، **وأرى أنه لمما يؤكده الحبك المعنوي الحاصل بين آيات السورة الكريمة أن نرجع الضمير في كلٍ لقوم سيدنا محمد، وذلك حتى لا يفك هذا الارتباط بتوزيع الضمائر في الآيات على الأقوام المتعددة.**

ويمثل الجدول الآتي خطا بيانيا وتلخيصا للزمن الخطابي في السورة الكريمة:

(١) التحرير والتنوير، ج١٩ ص١٥٦.

(٢) البحر المديد .، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الثانية١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، ج٥ ص٢٥٥.

الزمن	الآيات	وصف المشهد
١– الزمن الآني: ويمثله المشهد المحمدي مع قريش	٩:١	بداية خطاب الرسول لقومه وإعراضهم عن قضية الإيمان.
٢– الزمن الماضي الاسترجاعي ويمثله مشاهد الأنبياء: سيدنا موسى مع قومه	٦٨:١٠	لقاء سيدنا موسى بفرعون إلى الخروج من مصر والنجاة منه وبيان جزائه من الإغراق.
مشهد سيدنا إبراهيم مع قومه	١٠٤:٦٩	خطاب سيدنا إبراهيم لقومه وإعراضهم عن قضية الإيمان وبيان جزائهم من دخول النار.
مشهد سيدنا نوح مع قومه	١٢٢:١٠٥	تكذيب قوم نوح لقضية الإيمان ثم خطابه لقومه، وبيان جزائهم من الإغراق.
مشهد سيدنا هود مع قومه	١٤٠:١٢٣	تكذيب قوم عاد لقضية الإيمان ثم خطاب سيدنا هود لهم وبيان جزائهم من الهلاك.
مشهد سيدنا صالح مع قومه	١٥٩:١٤١	تكذيب قوم ثمود لقضية الإيمان ثم خطاب سيدنا صالح لهم ثم بيان جزائهم من العذاب.
مشهد سيدنا لوط مع قومه		
مشهد سيدنا شعيب مع		

قومه	١٧٥:١٦٠	تكذيب قوم لوط لقضية الإيمان ثم خطابه لهم وبيان جزائهم من التدمير.
	١٩١:١٧٦	تكذيب أصحاب الأيكة لقضية الإيمان ثم خطاب سيدنا شعيب لهم وبيان جزائهم من عذاب يوم الظلة.
٣- زمن آني ويمثله مشهد العودة لحديث سيدنا محمد مع قريش ويتخلله قفزات استباقية للتحذير من مغبة التكذيب	٢٢٧:١٩٢	ويشمل وصف القرآن الكريم، وإعراض مشركي مكة عنه، والأمر للرسول بإنذارهم، ونفي صفتي الكهانة والشعر عنه صلى الله عليه وآله وسلم.

ويتضح من هذا الجدول أن سورة الشعراء وحدة متجانسة ذات حدث واحد – وهو عرض قضية الإيمان من الأنبياء والتكذيب والإعراض من أقوامهم ثم بيان الجزاء من الله تعالى- متكرر ثماني مرات عبر الاسترجاع الزمني، ما يقدم لنا ثلاثة أزمنة خطابية؛ زمانا آنيا ساعتئذ أنذر الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم- وقد عبرت عنه الآيات الكريمات التسع الأول من السورة، وزمانا استرجاعيا مثله مشاهد الأنبياء السابقين، وزمنا استباقيا تخلل الزمن الآني في ختام السورة وفيه إخبار بالعاقبة الوخيمة للمنكرين من قريش.

وهذه المفارقات الزمنية التي أحدثها زمن الخطاب هنا لها دلالات مستفادة في تأويل الآيات وترتيب الأحداث وترابطها، ما نتج عنه أن اقتصرت قصص الأنبياء هنا – عن طريق تقنية الحذف وتلخيص الأحداث-على حوارات الأنبياء

مع أقوامهم حول قضية الإيمان وما هم فيه من الظلم والطغيان دون الخوض في تفاصيل الحياة أو مسارات ضلالهم لأن مناط الاستشهاد هنا اقتضى أن يكون الاسترجاع الزمني موقوفا على نقاط محددة في الحكي وليس لحكاية تفاصيل الحكاية التي رجع الزمن إليها.

وهذا الإشهاد بواسطة القصص هنا على أهل مكة ينفي أن تكون الوظيفة الوحيدة للقصص هنا مجرد تسلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقط كما رأى كثير ومنهم الدكتور "تومان غازي" الذي يقول: "ولما كانت القصص الواردة في سورة الشعراء موظفة لتأكيد فكرة رئيسة واحدة هي تسلية النبي صلى الله عليه وسلم، ، لذا جاءت بأساليب مميزة تهيؤها لأداء تلك الوظيفة الخاصة، فهي لم ترد في السورة الكريمة مستقلة مثل قصة يوسف عليه السلام"[(١)]، ولا شك أن هذا إنقاص من وظيفة القصص هنا والذي يشير الخطاب الموضوعي للسورة هنا بأن وظيفة الإشهاد على أهل مكة لا تقل عن وظيفة تسلية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه الوظائف تؤكد **علاقة القصص بالبناء الفكري للسورة الكريمة.**

(١) تقنيات الزمن في قصص الشعراء، د. تومان غازي حسين، مجلة مركز دراسات الكوفة العدد الثالث والعشرون المجلد الأول ٢٠١١م، ص٤٩ وما تليها.

المبحث الثالث: حوارية السورة الكريمة:

تدور الوظيفة الكبرى لسورة الشعراء حول كيفية توصيل الدعوة الإسلامية إلى أهل مكة بأحسن طرق **الخطاب المؤثر** يقول تعالى آمرا نبيه الكريم بالجهر بالدعوة: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ ؛ وهذا الخطاب المؤثر له أهميته في إقناع الطرف الآخر من الحوار؛ فهو العامل الأساس والأهم في توصيل الرسالة إلى المرسل إليه، وإن اختيار أنسب الطرق الملائمة لإقناعه لمن الأهمية بمكان حتى يؤدي الوظيفة المنوطة به على أتم ما يكون؛ ولذا نجد سيدنا "موسى" عليه السلام حينما خشي فوات هذا التأثير الذي هو سبب الإقناع دعا ربه أن يشد عضده بأخيه: "وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ" حتى يسانده إذا انعقد لسانه ولم يبن عما في نفسه حق الإبانة، ولذا عرضت السورة أيضا لنماذج من خطابات الأنبياء السابقين إلى أقوامهم حتى يكون ذلك أداة تعليمية؛ فالنبي في هذا الوقت الذي أمر فيه بالجهر بالدعوة والمسلمون من بعده تبع كانوا يحتاجون إلى تعلم فن الإعلام عن هذه الدعوة المباركة، وفن مهارات التواصل مع كل طوائف المجتمع المتنوعة التي سيتعرضون لها فيما بعد، إذ هم سوف يهاجرون ويرتحلون إلى أماكن شتى ويتقابلون مع أناس شتى تتفاوت عقولهم وطباعهم، وبالطبع لكلٍ مدخل يتناسب معه، لذا عرضت السورة لنماذج من هذه الحوارات المختلفة مع الأمم السابقة.

وقد ذيل كل حوار من حوارات الأنبياء مع أقوامهم بالآيتين المتكررتين: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ و"العزيز الرحيم" صفتان من صفات الله تعالى لكنهما لا يأتيان من باب واحد؛ فواحدة تأتي من باب الجلال والثانية تأتي من باب الجمال وهذا يتناسب مع وجود طرفين متباعدين ممثلين **للمبدأ الحواري** الذي تقوم عليه الآيات، فطرف فيه الرسول

صلى الله عليه وآله ومن آمن معه وهؤلاء يتجلى عليهم الله بالاسم "الرحيم"، وطرف فيه المشركون وهؤلاء يتجلى عليهم الله بالاسم "العزيز" فلكلٍ الاسم الذي يتناسب مع حالته أمام الله تعالى.

ومما يدعم وجهة النظر التي ترجح أن تتابع القصص – وبخاصة مع الأمر بالجهر– من أجل تعليم المسلمين – والنبي أول المسلمين– كيفية الحوار والمحاجة؛ الحرص على ذكر أمثلة متنوعة من خطابات الأنبياء السابقين، وذلك حتى تكون هذه الأمثلة نماذج حية مضيئة ممثِلة لفئات عدة أمام المسلمين، وحينئذ يستطيعون أن يتخيروا المدخل المناسب الذي يتلاءم مع المخاطبين بعد، وهذا من ناحية أخرى دليل من دلائل ارتباط سور القرآن الكريم ببعضها؛ لأننا لا نستطيع أن نعد قصص الأنبياء هذه خطابا مؤديا إفادة تامة من موضع واحد، بل الإفادة في كل موضع مقصورة على ما يحتاجه السياق في موضعه، ويتوجب على من يريد الإحاطة بالقصة الكاملة أن يأخذها من جميع المواضع التي ذكرت فيها حتى يكون الخطاب متكاملا، أي يجب أن تتضام الآيات التي اختصت بذكر الأنبياء أولا ثم استخلاص القصة مكتملة منها آنذاك، وهذا باستثناء قصة سيدنا يوسف التي ذكرت كاملة في السورة التي عنونت باسمه الكريم، ولو أن الخبر الذي جاءت به سورة غافر له من الأهمية ما يمكن إضافته إلى سورة يوسف في تأدية القصة مكتملة.

وبدأت السورة الكريمة بذكر قصة الرسول مع أهل مكة، وقد ذيلت بالتذييل المتكرر بعد كل قصة من قصص الأنبياء وهذا إشارة إلى ارتباط دعوة الرسول ودعوة الرسل السابقين، وأن ذلك تمهيد لذكر قصص الأنبياء فقد قال تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ ﴾ ، وعليه يكون المشار إليه في قوله بعدها: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً .." هو التكذيب الحاصل من الأقوام وما ترتب عليه من الجزاء بجانب الإشارة إلى

كيفية إنبات الأرض ودلائل القدرة في ذلك، وعليه يكون التتابع هنا في الآيتين يقدم قِرانا بين الدليل النقلي المتمثل في أخبار الأنبياء السابقين وما كان من أمرهم مع أقوامهم، والدليل العقلي المتمثل في التفكر في أمر إنبات الأرض وما يتطلب ذلك من وجود إله قادر على فعل ذلك الإنبات وهذا كله دليل صدق على رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك تواترت المؤكدات في قوله" وإن ربك لهو العزيز الرحيم" من إن واللام واسمية الجملة والواو المشعرة بالقسم وأسلوب القصر بضمير الفصل، وكل ذلك مرده إلى التأكيد على حتمية المصير من العقاب أو الإنجاء؛ ولذا قدم اسم العزة الغالب ليناسب وجوب هذا المصير للمكذبين، وبالتالي مردوده إلى إنذار أهل مكة المعنيون بالخطاب في السورة الكريمة.

وقد جاء كل نبي بخطابه هنا مشتملا على الإبلاغ وبيان تفضل الله تعالى على قومه وبيان اعتراض القوم ودحض هذا الاعتراض كما يلي:

النبي	الإبلاغ	بيان النعم	الاعتراض	دحض الاعتراض	التعليق
سيدنا موسى عليه السلام	فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧)	فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)	قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩)	قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١)	نموذج حوار للملك الذي ادعى الألوهية والحاكم المتكبر الذي لجأ إلى القوة بعدما أعجزه الرد
			قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣)	قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ	

				وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤)	
			قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ(٢٩)	قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (٣٠)	
			قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١)	فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣)	
			فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤)	فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧)	
			فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١)	قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ	

				فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦)	
سيدنا إبراهيم عليه السلام	وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠)	الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)	قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١)	قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣)	نموذج للمحاجة العقلية المتدرجة، ونموذج أيضا لمن يعترض على الإيمان بالله تعالى لأنه يسير على طريقة الآباء
			قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤)	قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧)	
				وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ	

				(٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣)	
سيدنا نوح عليه السلام	إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨)	وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩)	قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١)	قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥)	نموذج لحوار مع أصحاب الجاه المستكبرين
			قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦)	قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ	

				الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠)	
سيدنا هود عليه السلام	إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦)	وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي	قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٨)	فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩)	نموذج لمن يعترض لأنه يسير على طريقة الآباء

			أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥)		
سيدنا صالح عليه السلام	إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤)	وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ	قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤)	قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨)	نموذج لمن يعترض لبشرية الرسول مع تحدي الرسول

			(١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩)		
سيدنا لوط عليه السلام	إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣)	وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦)	قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧)	قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩)	نموذج لمن يعترض لفساد أخلاقه ولا يريد أن يستجيب
سيدنا شعيب عليه السلام	إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨)	وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا	قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ	قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩)	نموذج لمن يعترض لبشرية الرسول مع تحدي الرسول

	فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩)	تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤)	(١٨٧)		

ويتضح من بيانات هذا الجدول أهمية بدء التذكير بخطاب سيدنا موسى لقومه؛ إذ التشابه بيّن بين اعتراضات فرعون ولحوقه سيدنا موسى إلى البحر ثم نجاة نبي الله؛ مع اعتراضات صناديد قريش ولحوقهم سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم في حادثة الهجرة ثم نجاته كما ترسمها الخطاطة الآتية:

محاورة ← اعتراض على عبادة الله ← تهديد ← مطاردة ← نجاة الرسول

وهذا يوضح أن البدء بحوار سيدنا موسى مع فرعون كان ضرورة يقتضيها المقام هنا؛ إذ هذا تبصير للرسول بما سيجابه به عند الجهر بالدعوة، ومعروف أن سوق الأحداث قبل حدوثها يقلل من وقعها على المحكيّ له حين وقوعها، ويكون عرض الأحداث هذا بمنزلة تصوير لما سيحدث بعد ذلك، وعليه يعد ما

حدث لسيدنا موسى مع فرعون وصفا لما سيحدث بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش عند الجهر بالدعوة، وإعلاما بما سيتم طرحه من قِبل صناديد قريش قبل طرحه، وأنك أيها الرسول الكريم سوف تخرج من مكة مطاردا كما نقصّ عليك من نبأ موسى وفرعون، وهذا التأويل يؤكده خبر "ورقة بن نوفل" حينما ذهب إليه الرسول الأعظم – صلى الله عليه وآله وسلم– في صحبة السيدة العظمى "خديجة"– رضي الله عنها– يقص عليه ما ألمّ به في غار "حراء" فأخبره كما في الصحيح: "هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟» قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا"(١)، وقد تحقق هذا يوم أُخرج الرسول من مكة مهاجرا إلى المدينة المنورة.

وهذا المنهج الحكائي المستقبلي نعمة من نعم القرآن المباركة على نبي الإسلام وعلى أمة الإسلام؛ فنحن أهل القرآن نكاد نقف على ما سوف يحدث يوم القيامة خطوة بخطوة وحدثا بحدث من خلال سرد القرآن له في مواضعه المتعددة، حتى إن أحدنا ليكاد يراه رأي العين من دقة الوصف الحكائي الذي جاءت به الآيات الكريمات.

ويكشف الحوار في المشهد الموسوي عن إحدى وظائفه الفنية وهي تحليل الشخصية وبيان سماتها وأفكارها؛ "فالحوار يتيح للشخصيات أن تعبر عن نفسها"(٢)، وفي أحاديث الشخصيات تتجلى سماتهم، وطبائعهم، ويكشفون أحياناً

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج١ ص١٣٩.

(٢) معجم مصطلحات نقد الرواية، د.لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون دار النهار للنشر، =

عن جزء من نياتهم، وهنا يكشف حوار سيدنا موسى مع فرعون سمات كل منهما؛ فسيدنا موسى استطاع أن يرد على اتهامات فرعون: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ، وهذا يدل على موقف سيدنا موسى القوي إلى جانب موقف فرعون الذي ألجأه ضعفه بعد ذلك إلى أن ينزل عن مكانته ويجعل الملأ حوله هم الآمرين: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ ، ثم يكشف الحوار عن تنامي ضعف فرعون ما جعل السحرة يشترطون عليه قبل تحدي سيدنا موسى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ ، ثم يأخذ الحوار في بيان تنامي الضعف عنده ما جعله يستعين بالناس: ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ ، وهكذا أدى الحوار هنا وظيفته في كشف تخلخل موقف فرعون واضطرابه في الوقت الذي كشف عن تنامي موقف سيدنا موسى قوة وثقة، وفي هذا طمأنة لسيدنا محمد؛ فكما أن الله لم يترك نبيه موسى وجعله ينتصر على فرعون فلن يتركك يا حبيبه وسينصرك على مشركي مكة.

وهذه القوة عند سيدنا موسى جعلته يقترح أدلة على صدق دعوته أمام فرعون: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ وقد كان الدليل من جنس ما يحسن القوم وهو السحر: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ،

=

الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.ص٨٢.

وذلك حتى يكون أشد تأثيرا على الناس، وهذا ما سوف يفعله سيدنا محمد عندما تحدى قومه في غير موضع من سور القرآن الكريم: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ "البقرة (٢٣)"، واقتراح الأدلة دليل على قوة موقف المقترح وتحد ظاهر للمقترح عليهم.

كما كشف تنامي الحوار هنا عن تبدل موقف السحرة الذين جاءوا وكلهم ثقة في الفوز على سيدنا موسى وإبهار الناس المجتمعين بما سيأتون من السحر، ما جعلهم يشترطون الأجر على فرعون وهذا الاشتراط لا يأتي إلا ممن هو واثق من عمل يده، إلا أنهم سرعان ما تبدل موقفهم وتراجعوا عما هم فيه من الكبر والعنت بعدما ألقى سيدنا موسى عصاه: ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) ﴾ ، إذ وجدوا الحقيقة وليس السحر الذي يصنعون، وهذا التبدل الإيماني جعلهم لا يأبهون لتهديد فرعون: ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١) ﴾ ، فقد وقر الإيمان في قلوبهم ما جعلهم يقدمون إيمانهم سببا للمغفرة وعوضا عما يلقون من فرعون.

ومما يدل على تمام الثقة بالله تعالى في حوار سيدنا موسى مع من آمن معه أنه عليه السلام كان مطمئنا لنصر الله تعالى له سريعا في الرد على الخائفين: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) ﴾، فإذا كان فرعون وقومه في طلبهم فإن الله تعالى معه وسيهديه إلى طريق النجاة حتما، ويدل لفظ "كلا" هنا على تمام الثقة بالله تعالى فهو ينفي كل شك ويزيل كل ارتياب لديهم.

وأما سيدنا إبراهيم –عليه السلام– فجاء خطابه عقليا قائما على أسلوب

الاستفهام المتدرج: ما تعبدون؟ هل يسمعونكم؟ أو ينفعونكم أو يضرونكم؟ فهنا نجد أن الخطاب يبطل عبادتهم عمليا وعقليا؛ إذ هذه الأسئلة المتتالية تحوج المتلقي إلى الرجوع إلى نفسه بالتفكير في أمره وعبادته تلك، وهذا يبين أن ذكر حوار سيدنا "إبراهيم" هنا أيضا كان ضرورة اقتضاها السياق القرآني لأن هذا الخطاب سيكون هو هو الخطاب الموجه لقريش التي كانت حينئذ تعبد الأصنام أيضا.

ولم يذكر الحوار الإبراهيمي هنا مشهد محاجة النمرود مع سيدنا إبراهيم كما جاء في سورة البقرة: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ وذلك لأن حوار الملك الذي يدعي الألوهية قد مرّ في مشهد سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون في المشهد السابق للمشهد الإبراهيمي من السورة نفسها إذ قال فرعون: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ فالغاية من وراء هذا الحوار قد حصلت من المشهد الفائت فلا داعي لتكراره هنا؛ فالمقصود هو تقديم النموذج وقد قدم.

ولعل تقديم حوار سيدنا "إبراهيم" مع قومه على حوار الأنبياء: "نوح وهود وصالح" عليهم السلام لأن زمانه كان الأقرب لزمن الرسول الكريم محمد – صلى الله عليه وآله وسلم– منهم، وكانت قريش تفتخر بأنها ذرية ولده "إسماعيل" عليه السلام، كما ألمح الإمام "البقاعي" إلى أمر مهم هنا في الحوار الإبراهيمي وهو أن الله تعالى هنا لم يذكر عاقبة الإهلاك كما ذكر في بقية الحوارات: "إشارة إلى البشارة بالرفق ببنيه العرب في الإمهال كما رفق بهم في الإنزال والإرسال"[1]،

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م، ج٥ ص٣٥٠.

وهذا عامل من عوامل الاتصال المعنوي مع الخطاب المحمدي يضاف إلى ما سبق ذكره في الحبك المعنوي.

وأما نبي الله "نوح" عليه السلام فقد عبد قومه الأصنام يقول تعالى مخبرا بـــــــــذلك: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة نوح: ٢٣]، كما أن قريش كانت تعبد الأصنام؛ أي المحاجة في المعبود واحدة هنا، كما أن احتجاج قوم نوح على نبيهم في أتباعه هو هو احتجاج قريش على رسولنا الكريم في أتباعه؛ فقوم نوح استنكفوا أن يجاوروا من هم أقل منهم مكانة في اتباع النبي فقالوا: ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ وقريش قالت للرسول الأمر ذاته؛ ففي سنن ابن ماجه: "جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله صلى الله عليه و سلم مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي صلى الله عليه و سلم حقروهم فأتوه فخلوا به وقالوا إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت"(١) ، ولذا صدر الأمر الإلهي للنبي محمد:﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الأنعام ٥٢) كما صدر الأمر الإلهي للنبي نوح بعدم طرد المؤمنين ما جعله يقول:﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ ﴾.

وأما أنبياء الله تعالى: "هود وصالح ولوط وشعيب" عليهم السلام فقد عبدت أقوامهم الأصنام أيضا؛ فقوم عادٍ كانوا يعبدون الأصنام، واتّخذوا من ثلاثة

(١) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت، ج٢ ص١٣٨٢.

أصنام آلهةً لهم قال صاحب الكشاف: "وكانت لهم أصنام يعبدونها . صداء، وصمود، والهباء، فبعث الله إليهم هوداً نبياً"(١)، وقوم ثمود ولوط ومدين كذلك عبدوا الأصنام، وليس أدل على أن هؤلاء الأقوام جميعا كانوا يعبدون آلهة من دون الله من الخطاب الذي جاء على لسان كل نبي يدعوهم فيه إلى عبادة الله الواحد الأحد:

- فقد قال نبي الله نوح عليه السلام: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأعراف: ٥٩].
- وقال نبي الله هود عليه السلام: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٦٥].
- وقال نبي الله صالح عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة الأعراف: ٧٣].
- وقال نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ.. ﴾ [سورة الأعراف: ٨٥].

فهذه الآيات المباركات توضح أن هؤلاء الأقوام كانوا يعبدون الأصنام أو غير الأصنام من دون الله تعالى، فجاء الأمر في سورة الأعراف بتوحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، وجاء الأمر هنا في سورة الشعراء بتقوى الله تعالى فقد قال كل نبي لقومه: "أَلَا تَتَّقُونَ" التي اختص ذكرها في السورة الكريمة خمس مرات من أصل ست مرات في القرآن الكريم كله، ولا تنافي بين الأمر بالعبادة والأمر

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج٢ ص١٢٢.

بالتقوى إذ هما في هذا السياق معنيان لمدلول واحد، وقد قرن الله بينهما في كثير من آياته الكريمات من مثل قوله في سورة "نوح":﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ ﴾ ، أو من مثل قوله تعالى من سورة البقرة:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ﴾.

وقد جاء حوار سيدنا هود مع قومه كاشفا عن موطن من مواطن العظة لقريش؛ فقد كانت عاد تسكن قريبا منهم بين عمان وحضرموت، تلك الأراضي التي هي مناطق رملية لا نماء بها بعد أن كنت من أخصب الأراضي وأوفرها، كما حكى القرآن الكريم وأنها كانت موطن مجاري الماء:﴿ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ۝١٢٩ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ۝١٣٠ ﴾ فهذا نموذج للحوار مع أولي القوة والنماء، لكنهم استخفوا بكلام نبي الله هود عليه السلام وادعوا ان هذا خلق الأولين، فكان جزاء تكذيبهم أن أهلكهم الله تعالى بريح صرصر في أيام نحسات.

وأما خطاب سيدنا صالح لقومه فيقدم نموذج الحوار مع من يتبعون الضُّلال ويسيرون وراء الكبراء دون تمييز أو تعقل: ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ۝١٥٢ ﴾ ، وفي هذا من الشبه مع أهل مكة ما فيه؛ إذ أخذت كبراء مكة العزة بالإثم وتبعهم كثير من الناس، وهذا الخطاب القرآني يحذر هؤلاء من أن يسيروا وراء كبرائهم وأن يتعقلوا ما مرّ من أنباء الأمم السابقة حتى ينقذوا أنفسهم من العذاب الذي حلّ بمن سبقهم.

وجاء خطاب سيدنا لوط لقومه ليعبر عن أن دعوة الأنبياء تبتغي العفاف لأصحابها وأنها تنشد الارتقاء بهم إلى مصاف أفضل البشر باتباع ما أنزل الله تعالى، وتأبى لأتباعها أن يكون بهم شذوذ عن الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها فيقول تعالى: ﴿ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ۝١٦٦ ﴾ ، وقد جاء الخطاب هنا لأن قريشا كانت إذا أرادت

الخروج إلى الشام تمر على ديار قوم لوط، وقد أخبر الله تعالى بذلك في سورة الصافات ناصا على أخذ العبرة: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ ، فقوله تعالى "أفلا تعقلون" حث على التعقل وأخذ العبرة ممن سبقهم، فهذه الديار كانت معمورة بأهل لوط والآن غارت هذه القرية في الأرض وأصبح باطنها مقلوبا على ظاهرها كما حكى القرآن الكريم في سورة الحجر: ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ ، ولا شك أن مرور قريش على باقي القرية المندثرة يعطيها عظة وعبرة من الأحداث التي حصلت لهذه القرية ولذا جاء مشهد سيدنا لوط مع قومه هنا في معرض الجهر بالدعوة.

وجاء حوار سيدنا شعيب مع قومه ليقدم الخطاب الموجه للتجار الذين يطففون الكيل والميزان ويأتون بأنواع المفاسد الموجبة للهلاك: ﴿ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ ، فحالهم كحال كفار قريش الذين توعدهم الله بالويل على تطفيفهم الكيل فقال تعالى مفتتحا سورة المطففين: "ويل للمطففين".

وإن حشد هذه المشاهد في هذه السورة الكريمة هو من باب الإنذار الذي ينطوي تحت قوله تعالى: "وأنذر عشيرتك" ففي هذه المشاهد من العبر والعظات ما يقدم الحجج الداعمة للدعوة المحمدية؛ إذ الإخبار بأنباء الأمم السابقة دون اختلاف الرسول إلى معلم قبل ذلك فيه دلالة على أن هذا القرآن من عند الله تعالى ولذلك عقّب الله تعالى على مشاهد الأنبياء بقوله مؤكدا أن القرآن من عنده تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ ، وفي الوقت ذاته هو إنذار لكفار مكة بالعذاب الذي سيحل بهم إذا رفضوا الدعوة كما حلّ بالأمم التي قبلهم حين رفضوا دعوة أنبيائهم.

أما خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لقومه فجاء كلاميا بيانيا وتمثل في القرآن الكريم، وجاء الخطاب هنا متفرقا على جزأين؛ جزء افتتحت به السورة،

وجزء اختتمت به وبينهما جاء خطاب الأنبياء السابقين إلى أقوامهم، وفي هذا دلالة على أن هذا خطاب الأنبياء إنما هو استشهاد على ما جاء به الخطاب المحمديّ، وكما أنه تسلية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين معه فهو في الوقت ذاته زجر للمشركين؛ إذ هو عرض لما يترتب على تكذيب دعوة الرسول من فناء في الدنيا وخسران في الآخرة، كما أن فيه أيضا تثبيتا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ (الفرقان: ٣٢).

كما نلحظ من الجدول الفائت أن السورة الكريمة عرضت لحوارات الأنبياء السابقين مع أقوامهم فقط دون التعرض لتفاصيل حيواتهم؛ إذ المناط هنا ليس معرفة حيواتهم وتفاصيلها لكن المناط هنا هو الوقوف على معرفة كيفية الإبلاغ وطرقه المتباينة، وهذا يدلنا على أن "القصة في القرآن الكريم تمتزج بموضوعاته امتزاجا عضويا لا يدع مجالا للفصل بينها وبين غيرها من موضوعات السورة، بل إن القصة تجيء أبدا في معرض الاستشهاد على الأمر الذي تعرض له السورة"(١)، مما يجعل القصص هنا دوالا معنويا تمتن العلاقة بين جزئيات السورة الكريمة.

كما يدل الجدول الفائت على أن البناء الأساس لسورة الشعراء قائم على أسلوب الحوار؛ ومما يرشح ذلك أننا نجد الفعل "**قال**" تكرر اثنتين وثلاثين مرة وتكرر ثلاث عشرة مرة بلفظ "قالوا" وتكرر مرتين بلفظ "قيل" وجاء مرة بلفظ "قل" ومرة بلفظ "قولا" ومرة بلفظ "يقولون"، وتظهر الألفاظ التي يخاطب الله تعالى بها رسولنا محمدا منداحة في السورة كلها ومنها: "**لعلك، وإذ التي تأويلها واذكر إذ،**

(١) بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، كاظم الظواهري، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م.ص٢٧.

واتل عليهم، على قلبك لتكون، أفرأيت، ...." مما يجعل الحوارية مهيمنة على بناء السورة الكريمة.

ومما يرشح الأسلوب الحواري من مبدأ السورة الكريمة أيضا رأي "ابن عجيبة" في بحره المديد إذ يرى أن "طسم" هي مختصرات لأسماء الرسول فيقول: "يقول الحق جل جلاله : {طسم} أي : يا طاهر ، يا سيد ، يا محمد ، أو : أيها الطاهر السيد المجيد"[(١)] وعلى هذا الرأي تمثل تلك الحروف نداء من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وهكذا يتضح أن هيمنة الأسلوب الحواري على مسار السورة تمثل فيما يأتي:

أولا: خطاب من الله تعالى لرسولنا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣ ﴾ وقيه بيان بإعجاز القرآن الكريم وأنه من عند الله تعالى، ومن دلائل ذلك "طسم" تلك الحروف المقطعة –التي لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى– التي تبين أن سيدنا محمدا الذي لا يعرف القراءة والكتابة لا يؤاتيه أن يقول تلك الحروف المقطعة من عنده وأنها لابد أن تكون من عند الله تعالى؛ إذ هي تنطق حروف على نية الاتصال وليس على نية الانفصال أي أن منشئها يدرك معانيها وليس فقط مدلولها اللفظي.

ثانيا: سرد محاورات بعض الأنبياء السابقين عليهم السلام مع أقوامهم الذين تشابهت عبادتهم أو حججهم مع عبادة مشركي مكة وحججهم، وهذا السرد جاء ليؤكد حقيقة راسخة وهي أن: "سورة الشعراء حديث عن الرسل والرسالة، ولذلك جاء القصص فيها ليعالج أصلاً من أصول الدين، وهو الإيمان بالرسل، ويقرر حقيقة واحدة هي: اتفاق الأنبياء عليهم السلام على دين واحد، ودعوة

(١) البحر المديد، ج٥ ص٢٣٣.

واحدة هي الدعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له، والخلوص من الشرك"[1]، وهذا مما يبين وظيفة من وظائف حوار الرسل عليهم السلام مع أقوامهم.

ثالثا: العودة إلى الخطاب الإلهي الموجه للرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– في ختام السورة بداية من قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ ، وممتدا إلى نهاية السورة الكريمة.

(١) سورة الشعراء (دراسة بلاغية تحليلية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة إعداد/ فوزية بنت مسفر بن سلمي المطيري، إشراف الدكتور: محمد بن سعد الدبل، العام الجامعي ١٤٢٥هـ-١٤٢٦هـ، ص٣٤١.

المبحث الرابع: التناسب:

١- تعالق العنوان مع موضوع السورة:

إن العنوان هو الجسر الذي يعبر عليه القارئ إلى السورة، لذا لابد من وجود خيوط تربط بينه وبين ماهية أحداث السورة ليحدث الارتباط بينها لفظياً ومعنوياً وليمثّل بنية وسيطة بين داخل السورة وخارجها، وقد وضع الله –تعالى– عنواناً لكل سورة يتعالق مع أحداثها، ويدل عليها، وقد تبين من العرض الفائت أن سورة الشعراء تمثل الوحدة القرآنية في أوضح صورها وأتم مقاصدها، كما تبين أن الموضوعات المؤتلفة في قالب واحد هي الجداول المنسابة التي تصب في محيط السورة العميق، وأنها بهذا تكون أشد وقعا من الموضوعات المنفردة التي تشبه الجداول المنفصلة التي لا مورد لها يغذيها ولا مجمع لها يقويها، والتحليل اللغوي للعنوان يفيد معنى البيان والعلم؛ إذ يقول ابن سيده في مخصصه: "شَعَرَ بالشيء: عَلِمَ وشَعَرَ الرجلُ: صار شاعراً وأَشْعَرْته بالأمر: أَعْلَمْته"(١)، والعنوان بهذا المعنى اللغوي يتناسب مع موضوع السورة الذي هو الإعلام بالإسلام والإعلام بمواقف الأنبياء السابقين مع أقوامهم، كما يتناسب مع حديث السورة عن فئة الشعراء كما جاء في ختامها؛ فقد عنيت سورة الشعراء بعرض قضية الإيمان على أهل مكة الذين يعلون من شأن الشعر وأهله، فكان من الطبعي أن تتضمن السورة الكريمة حديثا عن الشعراء الذين يثق الناس في رؤيتهم كما وثق فرعون ومن معه في السحرة، ولعل هذا من تعليلات افتتاح المشاهد النبوية بمشهد سيدنا موسى –عليه السلام–، فكان التعريض بالفئة الباغية منهم في ختام السورة بمنزلة التحدي لهؤلاء الشعراء في أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم؛ فالشعراء الذين

(١) المخصص، ابن سيده، تحقيق : خليل إبراهم جفال دار إحياء التراث العربي بيروت ، الطبعة : الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، كتاب الأفعال والمصادر.

هم أقدر الناس على التحدي، وهذا لمما يفسر لنا وجود هذا القصص هنا فقد سبق أن تحدى كل نبي قومه وأظهر لهم من الآيات ما يدل على صدق رسالته كما فعل سيدنا موسى عليه السلام في حواره مع فرعون وسيدنا إبراهيم في حواره مع قومه وبقية الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم.

كما أن ذكر الشعراء هنا ينص على أن القرآن ضرب من الكلام يخالف كلامهم الذي يعرفه العرب جميعا، وبأن حال النبي يخالف حالهم من حيث القول والفعل؛ "فإن كان الشعر كذباً لا قرينة على مراد صاحبه فهو قبيح، وإن كان عليه قرينة كان كذباً معتذَراً عنه فكان غير محمود، وفي هذا إبداء للبَون الشاسع بين حال الشعراء وحال النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي كان لا يقول إلا حقاً ولا يصانع ولا يأتي بما يضلّل الأفهام"(١).

وقد جاء ذكر الشعراء بعد نفي الكهانة عنه ليدل على نفي الصفتين عنه يقول الإمام "ابن عجيبة": "ولما ذكر الكهنة ذكر الشعراء وحالهم ؛ لينبه على بُعد كلامهم من كلام القرآن، فينتفي كونه كهانة وشعراً، كما قيل فيه"(٢)، وهكذا نجد أن ذكر الشعراء والشياطين الذين يتنزلون بالإفك على أوليائهم مرتبط بموضوع السورة ارتباطا عضويا؛ إذ ذكرهم بالذم هنا هو نفي لاتصافه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يكون واحدا منهم، ونفي لأن يكون ما جاء به ضربا من أقاويلهم الكاذبة وتهويماتهم الخادعة؛ "فكيف يتوهم أن ينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته عن أن تحوم حوله شائبةُ الاتصافِ بشيء من الأمور المذكورة، واتصف بمحاسن الصفات الجليلة، والأخلاق الحميدة"(٣)، وقد فصّلت السورة أمر الكهان أكثر من ذكر الشعراء وذاك لأن أمر الكهانة أمر خفي قد ينطلي على ضعفاء

(١) التحرير والتنوير ج١٩ ص٢١٠.
(٢) البحر المديد ج٥ ص٢٩٨.
(٣) البحر المديد ج٥ ص٢٩٩.

العقول؛ وذاك أنهم يحسنون إيهام الناس بمعرفتهم الغيب، ويسجعون في كلامهم ببديع يأخذ الأسماع ويبهر العقول، ولذلك بادر القرآن الكريم بعرض أمرهم على الناس قبل أن يسألوا عن أمرهم بقوله تعالى: ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ ﴾ ، كما بادر بالرد قبل أن يكون هناك إذن بالرد من المتلقين: ﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾، أما أمر الشعراء فكلامهم المقيد بالأوزان والقوافي يخالف كلام القرآن والفروق بينهما بينة لا تحتاج لتفصيل.

ومما يتناسب مع ارتباط ذكر الشعر والكهانة في خواتيم السورة التي فيها أمر بالجهر وعرض الإيمان على أهل مكة أن العلاقة قائمة في خيال المشركين بين الكهانة والشعر؛ "إذ كانوا يزعمون أن للشاعر شيطاناً يملي عليه الشعر وربما سموه الرَّئِيّ، فناسب أن يقارَن بين تزييف قولهم في القرآن: هو شعر، وقولهم في النبي (صلى الله عليه وسلم) هو شاعر، وبين قولهم: هو قول كاهن، كما قرن بينهما في قوله تعالى: (وما هو بقول شاعِر قليلاً ما تُؤمنون ولا بقولِ كاهن قليلاً ما تذّكّرون (الحاقة : ٤١ ، ٤٢)"[(١)]، وبهذا الذكر في هذا الموضع يتبين مخالفة القرآن لكلا الأمرين وأن الرسول بريء من كلتا الصفتين.

وإن ارتباط العنوان بمحتوى السورة يجعله باعثا على التخيل، ويحيل إلى مدلولات النص الأدبي من حيث فكرة النص وموضوعه وأثره، وقد فقه قدماؤنا وظيفة العنوان ومدلولاته حين عرفوا العنوان بكلمات: القصد، والأثر، والسمة، والتعريض[(٢)]،تلك الكلمات التي تدل على وظائف العنوان، مما حدا د. "الجزار" أن يصف هذه الكلمات بأنها أقرب إلى المعنى الاصطلاحي منها إلى المعنى

(١) التحرير والتنوير ج١٩ ص٢٠٧.

(٢) ينظر مادة "عنن" ومادة "عني" القاموس المحيط، ولسان العرب، والمعجم الوسيط، وتاج العروس.

اللغوي فيقول: "إن ما أورده المعجم لها من دلالة، أزعم أنها تكاد تكون اصطلاحية أكثر منها لغوية، فقول ابن سيده السابق إن العنوان "سمة الكتاب" يقطع بين الكلمة والثقافة الشفاهية التي كانت أساس حركة الجمع اللغوي بشروطها الثلاثة الزمانية والمكانية والثقافية"(١)، وهكذا فقه علماؤنا القدامى أهمية العنوان اصطلاحاً من حيث احتواء النص أو الإيحاء بما لم يقله النص، كما أشاروا إلى وظائفه المتعددة وإن لم ينصوا على ذلك بصورة صريحة، لكن كلماتهم وتعاريفهم توحي بذلك، وهذا ما نجده في اسم السورة الكريمة من دلالته على تحدي هذه الفئة والتعريض بعجزهم عن الإتيان بمثله، وأنه يشير من طرف ظاهر إلى أهل مكة أن اذهبوا إلى الشعراء فاسألوهم عن هذا القرآن إن كان من كلام يستطيعه البشر أم أنه من كلام الإله القادر، واسألوهم هل حال الرسول من حالهم أو أنه حال يختلف عن حالهم؟!.

وإذا أردنا أن نحلل عنوان السورة لغويا فإن الجملة لا تتكون من مفردة واحدة بل لابد أن يقترن معها ما يجعلها جملة وإن كان هذا المقترن مستترا أو محذوفا، فإذا ذكر في العنوان مفردة واحدة فهي حينئذ تختزن معها من المفردات ما يجعلها صالحة لكي تؤدي وظيفة العنوان وحينئذ يستدعي الذهن كل ما ارتبط بعناصر هذا العنوان، وهذا الاستدعاء مرتبط بتكثيف الدلالات القارة في ذهن كل قارئ حول هذه المفردة، والذاكرة النموذجية تعمل على جمع شتات المعاني وبخاصة المعاني المستقاة من الناحية التأويلية المحتجبة لمحتوى السورة، وكل هذا يوضح الصورة المتخيلة لدي صاحب هذه الذاكرة عن مفردة العنوان، وعنواننا هنا مكون من مفردة واحدة هي "الشعراء" وعلى هذا يجب أن نفتح الباب

(١) العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، د. محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتب ١٩٩٨م، ص١٨.

للتأويل الذي يضيف إليها ما يحيلها جملة صالحة لأداء وظيفة العنوان، والتأويل هنا ممكن أن يجعلها: هذه سورة التحدي للشعراء، وهذه سورة مفارقة القرآن للشعراء، وهذه سورة براءة الرسول من الشعراء، وهذه سورة تباين الشعراء، أو غير ذلك مما يرتبط بمحتوى السورة، وكل التأويلات يحكم بصحتها متى كانت موافقة لمضمون السورة الكريمة، وعند دراسة محتوى السورة سيتبين لنا صحة كل هذه التأويلات الفائتة لارتباطها بمضمون السورة التي تحدثت عن الشعراء وموقفهم المتباين.

والإيجاز في العنوان يثمر في تداعي هذه المعاني التأويلية التي تمتح من معلومات القارئ، وعليه فإن هذا الإيجاز يعمل على أن تتسع شبكة المفردات والمعاني التي يتعالق معها هذا العنوان؛ فحذف بعض أجزائه يعطي العمومية التي تعدد العلاقات الرابطة بينه وبين التأويلات المتنوعة التي يتفتق عنها ذهن المتلقي، وقد فقه علماؤنا القدامى هذا الملحظ إذ يقول الإمام "عبد القاهر" مقدماً لباب "الحذف": "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن"(١)، فالحذف هنا داعٍ من دواعي العموم؛ إذ النص على دالة لغوية محددة يحجب باقي الدوال التي يمكن أن تتماس مع بنية العنوان، وتركها يتيح لبنية العنوان أن تنفتح آفاقها على دوال متعددة؛ مما يزيد من فرص التأويل وتفاوته بتفاوت كل قارئ وربما استدرك اللاحق ما فات على السابق، وحينما نقرأ العنوان "الشعراء" تنهال على ذهننا مجموعة من الأسئلة مرتبطة بتأويلات العنوان في ذهن كل قارئ ومنها: لماذا يسمي القرآن سورة باسم الشعراء في حين أنه في غير موضع

(١) دلائل الإعجاز، ص١٤٦.

ينفي أن يكون القرآن شعرا؟! وماذا عسى أن تتحدث عنه سورة الشعراء؟! فإذا تقدمت بنا القراءة ووجدنا مفتتح السورة يحكي عن تكذيب غالب أهل مكة للوحي الإلهي وكذلك تكذيب أقوام الأنبياء السابقين للوحي الإلهي يطل على ذهننا أسئلة أخرى منها: ما علاقة هذا التكذيب بالشعراء؟! ويظل القارئ في شوق لمعرفة سبب تسمية السورة بالشعراء إلى أن يجد في خواتيمها ما يبتغيه، لكنه يجد السورة تبين أن الشعراء فئتان؛ فئة مؤمنة آمنت وعرفت أنه كلام الله وأنه ليس من كلام البشر وهم أخبر الناس بكلام البشر، وفئة غاوية لم تؤمن وأنكرت وهذه هي الفئة الضالة التي تهيم في كل واد وتفعل مالا تقول، وتقول خلاف ما تعتقد؛ فهذه الفئة بوصفها شعراء تعرف أن القرآن ليس من كلام البشر ومع ذلك تنكر ذلك، وعندئذ يعيد في ذهنه ما قرأ من السورة الكريمة فيجد أن الناس قد انقسموا تجاه أنبيائهم فئتين أيضا؛ فئة مؤمنة آمنت بأنبياء الله، وفئة غاوية صدت عن دعوة الأنبياء.

وبهذا أشار تكثيف العنوان هنا إلى ماهية الأحداث التي تتوجه بدورها وتشير إلى الأبعاد التي تقصدها السورة الكريمة من تسلية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وإنذار أهل مكة، ورسم الصورة المترتبة على إبلاغ الرسول الدعوة لقومه، ونفي الكهانة والشعر عن القرآن الكريم وأنه من عند الله تعالى:

عنوان ← أحداث ← أبعاد

وقد عزا كثير من المفسرين سبب تسمية سورة الشعراء بهذا الاسم لأنها هي السورة الوحيدة التي ذكر فيها لفظة الشعراء[1]، ولأنها اختتمت بالحديث عن طائفتي الشعراء؛ الغاوين والمؤمنين، إلا أنه لابد من وجوه أخرى يمكن أن تتضام مع ما سبق في سبب التسمية ومنها:

(١) ينظر التحرير والتنوير ج١٩ ص٨٩،

أن هناك علاقة بين ذكر الشعراء وحالهم وافتتاح السورة بهذه الحروف المقطعة: "طسم" التي اجتهد المفسرون في تأويلها ونهاية المطاف فيها أنها إعجاز من إعجاز القرآن الكريم، وأنها تحدٍ لمشركي مكة وعلى رأسهم الشعراء الذين يناط بهم التحدي أكثر من غيرهم؛ فالله عز وجل أتى بهذه الحروف بياناً للناس جميعا أن القرآن من جنس هذه الحروف التي تتكلمون وتنطقون بها، فأتوا بسورة من مثله إن استطعتم إلى ذلك سبيلا، فهو تعجيز منه سبحانه لخلقه.

وقيل إن هذه الحروف المقطعة التي في أوائل السور هي مسميات للسور، فتسمى السورة بها، فيقال: سورة طسم الشعراء، كما أنها: "افتتاح للسور لشد انتباه الكفار؛ لأنهم لم يتعودوا على هذا الشيء، فعندما يقول: الم، فإنهم يسمعون للذي يقول، ويسمعون لهذا الكلام الغريب، فيتلوا عليهم بعد ذلك هذا القرآن العظيم، ولذلك لا يذكر في هذا القرآن العظيم فواتح للسور مثل: ألم، الر، طسم، طس، حم، وغيرها من الفواتح إلا ويذكر بعدها إشارة لهذا القرآن العظيم، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ ، وكما قال في سورة آل عمران: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ ، وقال هنا: ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ ﴾ ، فكأنه يشد انتباه هؤلاء بحروف لا يفهمون معناها؛ من أجل أن يتعرفوا ما هو المقصود، فإذا سمعوا ذكر لهم ما يريده منهم هذا القرآن العظيم"[1].

وهناك ملمح يجب الالتفات إليه عند البحث عن سبب اختتام السورة بالحديث عن الشعراء وتسميتها بهذا الاسم؛ وهو أن الشعراء جميعا يتفقون فيما يتفقون على أن شعرهم يبحث أول ما يبحث عن التأثير في المتلقين بتحريك الشعور وإثارة الوجدان، وعند النظر فيه نجد أن بعضه قد يحتوي فكرة جيدة،

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج١٣ ص٨٨.

وبعضه قد لا يحمل تلك الفكرة الجيدة بل يكون ضربا من الهزل أو من الفحش أو من الكفر، ولهذا نبهت السورة الكريمة بعدما ساقت مشاهد محكمة العاطفة والفكرة والنغم على افتراق أسلوب القرآن عن أسلوب الشعراء الذين هم على طائفتين؛ طائفة وصفها القرآن الكريم بقوله:﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ وهؤلاء يلقون شعرهم غير عابئين بما فيه من الكلام الفاحش الذي يهيج الغرائز ويرمي المحصنات الغافلات بغير ما اكتسبن، أو على حد تعبير الإمام "محمد عبدالله دراز": "لا يبالون بما صوروه لك أن يكون غيا أو رشدا، وأن يكون حقيقة أو تخيلا، فتراهم جادين وهم هازلون، يستبكون وإن كانوا لا يبكون"(١)، وهو شعر في حقيقة أمرهم لا يصدر في أغلب أحوالهم عن فعل مارسوه بل صدر عن خيال واهم مريض، وطائفة أخرى وصفها بقوله:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ وهؤلاء الذين أُرشدوا إلى أقرب النقاط من البلاغة العربية الصحيحة والفكرة السديدة التي تدعو إلى مكارم الأخلاق، لكن أسلوبهم في الحالتين لم يطرد على نظام جيد محكم؛ بل نجد في شعرهم ما لا يرقى إلى هذا المستوى ويمكن الاستئناس هنا بما أخذه "الباقلاني" في "إعجاز القرآن" على فحول الشعراء وهم من هم في الفصاحة والبيان إذ يقول: "وقد علمت أن كلام فصحائهم وشعر بلغائهم لا ينفك من تصرف في غريب مستنكر أو وحشي مستكره ومعان مستبعدة ثم عدولهم إلى كلام مبتذل وضيع لا يوجد دونه في الرتبة ثم تحولهم إلى كلام معتدل بين الأمرين متصرف بين المنزلتين فمن شاء أن يتحقق هذا نظر في قصيدة امرئ القيس"(٢) ، ثم أخذ رحمه الله تعالى ينقد معلقة امرئ القيس

(١) النبأ العظيم، ص١٤٤.

(٢) إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار المعارف – القاهرة، ص٤٦.

بيتا بيتا ولفظة لفظة وصورة صورة وتركيبا تركيبا في اثنتين وعشرين صفحة[١]، وبين كيف أن هذا الكلام الذي يضرب به المثل في البلاغة للشعراء المتقدمين والمتأخرين تفاوت نظمه إجادة وتكلفا بل وابتذالا، وقال مقارنا بين القرآن الكريم وأسلوب الشعراء: "وقد بينا لك أن هذه القصيدة ونظائرها تتفاوت في أبياتها تفاوتا بينا في الجودة والرداءة والسلاسة والانعقاد والسلامة والانحلال والتمكن والاستصعاب والتسهل والاسترسال والتوحش والاستكراه وله شركاء في نظائرها ومنازعون في محاسنها ومعارضون في بدائعها، ولا سواء كلام ينحت من الصخر تارة ويذوب تارة ويتلون تلون الحرباء ويختلف اختلاف الأهواء ويكثر في تصرفه اضطرابه وتتفاذف به أسبابه وبين قول يجري في سبكه على نظام وفي رصفه على منهاج وفي وضعه على حد وفي صفائه على باب وفي بهجته ورونقه على طريق مختلفة مؤتلف ومؤتلفه متحد ومتباعده متقارب وشارده مطيع ومطيعه شارد.."[٢]، أما أسلوب القرآن الكريم فقد اطردت آياته على نظام واحد ورصف متساوٍ يحمل أسمى العواطف وأرقى الأفكار دون أن يختل هذا القِران العظيم في أي جزء من أجزائه، وبهذا يكون العنوان هنا دليلا على تباين أسلوب القرآن الكريم وأسلوب الشعراء.

٢- تناسب السورة في نفسها:

ارتبطت آيات سورة الشعراء ارتباطا وثيقا؛ فأولها يأخذ بآخرها في انسجام بديع وقِران معجز، فقد افتتحت السورة بالحديث عن القرآن الكريم: ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ ﴾ كما اختتمت بالعودة إلى الحديث عن القرآن الكريم أيضا: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤

(١) من ص١٦٠: ١٨٢ من كتابه إعجاز القرآن.

(٢) إعجاز القرآن ص ١٨٢ وما تليها.

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [1] ، ثم تحدثت السورة عن إعراض المشركين عن القرآن الكريم وأن الله سوف يسوق لهم الجزاء على صدهم وإعراضهم: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ واختتمت السورة كذلك ببيان هذا الجزاء لمن صد وأعرض عن دعوة الإيمان بالله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ ، وهذا إحكام من إحكامات القرآن الكريم التي تفرد بها الكتاب العزيز الذي مهما طالت آيات السورة الواحدة فيه فإنها لا تخرج عن المسار الرئيس للسورة القرآنية، وبهذا تتجلى الوحدة القرآنية في أتم صورها وأجلى بيانها.

٣- تناسب السورة في موضعها:

أ) **مصحفيا:** ومن تمام الوحدة القرآنية في سورة الشعراء أنها ذات طرفين؛ طرف متشابك بسورة الفرقان" التي قبلها وطرف ممسك بسورة النمل" التي بعدها، وبهذا تكون السورة الكريمة قد تعالقت بما قبلها وما بعدها تعالق الجزء بالكل، فالقرآن كله عروة واحدة ونسيج واحد، ويقول الإمام "البقاعي" متحدثا عن ارتباط سورة "الشعراء" بسورة "الفرقان" التي قبلها: "مقصودها أن هذا الكتاب بين في نفسه بإعجازه أنه من عند الله، مبين لكل ملتبس، ومن ذلك بيان آخِر التي قبلها بتفصيلهن وتنزيله على أحوال الأمم وتمثيله، وتسكين أسفه (صلى الله عليه وسلم) خوفاً من أن يعم أمته الهوان بعدم الإيمان، وأن يشتد قصدهم لأتباعه بالأذى والعدوان بما تفهمه من طول الزمان، بالإشارة إلى إهلاك من

(١) ينظر: التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير بيروت الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م، ص٣٩.

علم منه دوام العصيان، ورحمة من أراده للهداية والإحسان"[١]، كما أن سورة الشعراء ترتبط ارتباطا وثيقا بجارتها سورة الفرقان من حيث تناسب موضوع سورة الشعراء وهو الجهر بالإسلام واسم الفرقان الذي يفرق به الله بين الحق والباطل، بين المؤمن والكافر، ويضاف إلى ذلك من وجوه الارتباط بين السورتين ما مرّ بيانه في دراسة "الاسترجاع الزمني" من أن ترتيب قصص الأنبياء هنا في سورة "الشعراء" جاء على ترتيب ذكرهم في سورة "الفرقان"، كما أن اسم "الرحمن" جاء في اختتام سورة الفرقان: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾(الفرقان:٦٣) وافتتحت به سورة الشعراء:﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴿٥﴾ ﴾ ، وكما توعد الله المكذبين في نهاية سورة الفرقان: ﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامٗا ﴿٧٧﴾ ﴾ (الفرقان: ٧٧) فكذلك توعدهم الله تعالى في مفتتح سورة الشعراء: ﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦﴾ ﴾[٢] .

ويقول الإمام البقاعي –رضي الله عنه– متحدثا عن ارتباط سورة "النمل" بسورة "الشعراء": "فالمقصود الأعظم منها إظهار العلم والحكمة كما كان مقصود التي قبلها إظهار البطش والنقمة، وأدل ما فيها على هذا المقصود ما للنمل من حسن التدبير، وسداد المذاهب في العيش"[٣]، فدلّ هنا على ما بين السورتين من اعتلاق موضوعي؛ فكما تحدثت سورة "الشعراء" عن انقسام البشر تجاه دعوة الرسل عليهم السلام إلى مؤمنين وكافرين فكذلك افتتحت سورة النمل

(١) نظم الدرر ج٥ ص٣٤٤.
(٢) ينظر: التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم ص١٢٢.
(٣) نظم الدرر ج٥ ص٤٠٥.

بالحديث عن الطائفتين؛ بشارة للمؤمنين، وتعمية على الكافرين: ﴿ طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٤ ﴾ (النمل ١: ٤).

ب) نزوليا: اتفق الترتيب النزولي مع الترتيب المصحفي من حيث سبق سورة الشعراء لسورة النمل وتجاورهما، أما السورة التي سبقت الشعراء نزولا فهي سورة الواقعة[1]، وسورة الواقعة تحدثت عن مصاير الأمم يوم القيامة: "أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة، المقربون وأصحاب اليمين والمكذبون" وهذه المصاير تكون على حسب الإيمان بالرسل أو الصد عنهم، وقد تكفلت سورة الشعراء ببيان مواقف الأقوام من رسلهم، كما تكفلت بعرض قضية الإيمان على قريش ليختاروا المصير المنتظر لكل فرقة من الفرق التي سبق بيانها في سورة الواقعة، وبهذا تتضح العلاقة بين سورة الواقعة وسورة الشعراء التي هي تفصيل لإجمال ما جاء في سورة الواقعة قبلها.

٤- تناسب السورة مع سورة الفاتحة:

تشبه علاقة سورة الفاتحة بسور القرآن الكريم في الارتباط علاقة الأم بأبنائها؛ فهي أم الكتاب وأم القرآن، وهي التي تصدرت المصحف الشريف فافتتح بها كلام الله تعالى، وسورة الشعراء لها ارتباط وثيق – شأنها شأن كل السور- بسورة الفاتحة؛ إذ معاني سورة الفاتحة مبثوثة في سورة الشعراء مما يمتن العلاقة بينهما وذلك على النحو الآتي:

معاني السورة الكريمة وعلاقتها بسورة الشعراء:

- **الافتتاح في سورة الفاتحة :** ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ هو افتتاح لكل سورة من

(١) الإتقان

سور القرآن الكريم.

- **حديث السورة الكريمة عن صفات الله تعالى:** ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ جاء تفصيل بعضها في الآيتين الكريمتين من سورة الشعراء: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.
- **قوله تعالى في سورة الفاتحة:** ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ هو الإرشاد لما جاءت به سورة الشعراء من حيث إرشادها لعبادة الله وحده وترك ما كان يعبده الآباء من البشر أو الأصنام؛ فقد تبرأ الأنبياء من تلك العبادات: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ وأمروا الأقوام بعبادة الله وتقواه: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾.
- **وأما ختام السورة الكريمة:** "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ" فهذا إجمال تفصيله هو ما جاء في سورة الشعراء من تعدد مشاهد الأنبياء فهؤلاء هم الذين أنعم الله عليهم، وأما من كفر بهم فهؤلاء هم الذين غضب الله عليهم وهم الضالون.

ألفاظ السورة الكريمة:

ألفاظ السورة الكريمة انتثر بعضها في سورة الشعراء مثل: "وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ **الرَّحْمَنِ** مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ **الرَّحِيمُ**، فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ **رَبِّ الْعَالَمِينَ**، فَاتَّقُوا **اللَّهَ** وَأَطِيعُونِ، وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي **يَوْمَ الدِّينِ**، قَالُوا **نَعْبُدُ** أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ، وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ **الْمُسْتَقِيمِ**، قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ **الضَّالِّينَ**".

محاور سورة الفاتحة:

إن محاور سورة الفاتحة: "الإيمان بالله تعالى والثناء عليه، وعبادته سبحانه

وتعالى وحده والاستعانة به في كل أمورنا، ودعاء الله تعالى بالهداية إلى الصراط المستقيم" هي المحاور التي قامت عليها سورة الشعراء التي افتتحت بالحديث عن قدرة الله تعالى الباهرة في مثل قوله تعالى:﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ ، أو في مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ ، كما تحدثت السورة عن الإيمان بالله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، وتحدثت السورة عن اليوم الآخر في بدايته بالبعث: ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ " وفي إيراث المؤمنين الجنة: ﴿ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ ، كما تحدثت السورة عن مصاير الناس يوم القيامة: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ وأصحاب الجنة هم الذين أنعم الله عليهم، وأصحاب الجحيم هم الذين غضب الله عليهم وضلوا، كما تحدثت السورة عن الدعاء لله تعالى في مثل قوله تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ ، أو مثل قوله: ﴿ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، كما تحدثت السورة عن قصص الأنبياء السابقين: " موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب" عليهم السلام لتؤكد كمال الإيمان بالله تعالى ورسله الكرام.

وبهذا نجد الارتباط المتين بين موضوع سورة الفاتحة وموضوع سورة الشعراء، وبين ألفاظ سورة الفاتحة وألفاظ سورة الشعراء، وبين مكان نزول السورتين فكلتاهما مكيتان، وقد أجمل الإمام البقاعي ارتباط السورة الكريمة بسور القرآن الكريم بقوله: "لما كانت نسبة البسملة من الفاتحة نسبة الفاتحة من القرآن صدرت بها الفاتحة كما صدر القرآن بالفاتحة ، لأنها لما أفادت نسبة الأمور كلها إليه سبحانه وحده أفادت أنه الإله وحده وذلك هو إجمال لتفصيل الفاتحة

كما أن الفاتحة إجمال تفصيل القرآن من الأصول والفروع والمعارف واللطائف"[١]، وهو ما يؤكد الوحدة القرآنية في القرآن الكريم كاملا ولا غرابة في ذلك فهو كله كلام الله تعالى المعجز الذي لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه.

(١) نظم الدرر، ج١ ص١٣.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الكريم وعلى آله وأصحابه وجميع المسلمين..؛ وبعد:

فبعد هذه التطوافة المؤنسة مع آيات سورة الشعراء بدأ من افتتاحها بالأحرف المقطعة التي هي إعجاز من إعجاز القرآن الكريم، ثم الوقوف مع المشهد الافتتاحي الذي يبين منتهى الحنوّ والعطف والشفقة من الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يترحم بنفسه من الهلاك أسى وحسرة على قومه ألا يكونوا مؤمنين، ثم الإشهاد على أهل مكة بقص مشاهد الأنبياء السابقين؛ تلك المشاهد التي يعايش فيها المرء مَن كان قبله من الرسل والأمم على اختلاف أزمانها وأماكنها لأخذ الدرس والعظة؛ **فالشخصيات تتغير والأفعال تتكرر**، فالنمرود الذي وجه إليه سيدنا إبراهيم الخطاب هو هو فرعون الذي وجه إليه سيدنا موسى الخطاب وإن اختلف اسم كل منهما، وقوم نوح الذين عبدوا الأوثان هم أهل مكة الذي عبدوا الأوثان على اختلاف زمانهما ومكانهما، وهكذا تشابهت قلوبهم وإن تغيرت أسماؤهم وسماتهم، وانتهاء بالمشهد الذي يوضح أن القرآن من عند الله تعالى وليس من تهويمات الشياطين وإفكهم، ثم ختم السورة بالشهادة إلى الشعر الذي ينصر الله ورسوله والنعي على الشعراء الغاوين الذين يخدعون الناس ويضللونهم؛ بعد هذه الحصة المباركة من دراسة سورة الشعراء يطيب لي أن أقدم أهم النتائج التي وقفت عليها بعد الدراسة التي بوركت باتصالها بكلام الله تعالى وهي:

- أن سورة الشعراء جاءت نموذجا خاصا في سبك ألفاظها واحتباك معانيها وتناغم فواصلها وتلاحم معاقدها وتعالق مفتتحها بختامها وانضواء كل ذلك تحت عنوانها بما يقدم الوحدة القرآنية في أتم صورها وأبهى حللها، وبهذا أرشدت السورة إلى ضرورة أن ينظر الدارس إلى السورة ككل لا أن ينظر إليها

مشاهد متعددة فقط؛ لأن هذا سينأى به عن كثير من المعاني الإجمالية المقصودة التي قد لا يستطيع جمع شملها إذا صب اهتمامه على الانشغال بالجزئيات فقط دون أن يمعن النظر في كلية السورة، وهذا منهج تعليمي ينبغي أن يصاحب الدراس في جميع سور القرآن الكريم، بل في كل نص يكون مادة للدراسة.

- وأن قصص القرآن الكريم يكمل بعضه بعضا، وأن دلالة التركيب والتكامل بين آيات القرآن الكريم من جهة، وافتراق الحكي في كل مشهد من مشاهد الأنبياء عبر القرآن الكريم كله من جهة أخرى يعطيانا نظرة كلية إلى هذا القصص تجعل من الدرر المتناثرة في سور القرآن الكريم جزئيات يمكن انتظامها لتعطينا خريدة متكاملة تمثل القصة الكاملة لأنبياء الله تعالى، وأن هذا القصص قد ارتقت هنا عن أن تكون مجرد تسلية لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقط – مع شرف هذا المقصد– لتكون أداة تعليمية للحوار الآني والمستقبلي الذي سوف يكون بين الرسول ومن يليه من المؤمنين وبين المشركين وأهل الكتاب بعد ذلك بوصف هذين الطرف الثاني في الحوار؛ ذاك أن السورة ورد فيها الأمر الإلهي بالجهر بالدعوة وتوجيه الإنذار إلى أهل مكة: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥ ﴾ "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)" فكان لابد من أن تقدم تجربة عملية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وليكون على ذكر من ردة فعل الطرف الآخر المخاطب بالدعوة، وليكون توقعا للهجوم المضاد الذي سوف يقوم به كفار مكة عند مخاطبتهم، وبهذا يكون المسلمون قد أفادوا من حوارات الأنبياء مع أقوامهم ما يردون به كيد المشركين حين مخاطبتهم، ولعل اختلاف الحوار هنا ظاهريا فقط؛ أما التدقيق فيما وراء الحوار الظاهري فيمكن رده إلى هجومات متشابهة قام بها صناديد الكفر من قبل كما يقوم بها صناديد الكفر في عصر النبوة على ما

وضحته في ثنايا البحث.

- وأن من المناهج التعليمية في سرد القصص أن يكتفي السارد في مواضع معينة من القصة بما يفيد المسرود له؛ فهنا اقتصر الحكي على جزئيات محددة من حيوات الأنبياء تتناسب مع مقصد السورة الكريمة، وهذا مما ساعد على اكتمال الوحدة القرآنية في السورة الكريمة.
- لم يُذكر مشهد سيدنا يونس هنا في سورة الشعراء مع أنها عنيت بذكر مشاهد الأنبياء لأن السورة تتحدث عن الأقوام التي لم يؤمن أكثرهم، أما قوم سيدنا يونس فقد آمنوا كما أخبر ربنا سبحانه وتعالى في سورة "يونس": ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ ، كما أن السورة لم تذكر مشاهد أنبياء آخرين مثل: "إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيي، وعيسى.." وغيرهم وذلك لأن الثلاثة الأول هم من نسل سيبدنا إبراهيم المباشر وذكر الأب يغني عن ذكر الابن في مثل هذا المعرض، وكذلك بقية الأنبياء قد أرسلوا إلى بني إسرائيل وقد ذكر سيدنا موسى، وسيدنا موسى هو أكثر الأنبياء خطابا عناء مع بني إسرائيل فذكره يغني عن ذكر الآخرين.
- تبين السورة الكريمة أن التناسق الجمالي مقصد من مقاصد البيان القرآني؛ فمراعاة الفواصل هنا قد أتت بشكل لافت للنظر، ومما يؤكد حرص السورة على هذا المقصد حذف ياء النفس من بعض آياتها مراعاة للفواصل كما في قوله تعلى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ التي قرأها يعقوب وصلاً ووقفاً: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي)[1] ، ومثل هذا في سورة "الإنسان" حين صرف الممنوع من اجل هذا

(١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، مراجعة فضيلة الشيخ/ علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية بيروت، ج٢ ص٣٣٦.

المقصـــــد الشـــــريف: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤﴾، فالتناسق الجمالي ومناسبة الجوار والفواصل أدى إلى صرف الممنوع في قوله "سلاسل"، وكل هذا يلفت النظر إلى المقصد الجمالي الذي حرص عليه البناء الأسلوبي للقرآن الكريم.

- تقدم الوحدة القرآنية لسورة الشعراء نموذجا للنص المحكم المترابط ولو أنه مكون من جزئيات عدة، وفي هذا تعليم لكل من يريد أن يرتقي بكتابته لتستحق أن توسم بالنصية أن ينتبه إلى وجوب تكامل جزئيات نصه وتآلفها، وصدق الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١).
- تعد سورة الشعراء من أوليات السور التي عنيت بسرد الحوار الذي دار بين الأنبياء وأقوامهم، لذا نجد أن المستويات الخطابية قد تنوعت بتنوع القوم المحكي قصتهم، ومع أن السورة الكريمة قد حملت من الحمولة المعنوية ما تبين سرده في مشاهدها المتعاقبة، لكن هذه الحمولة يمكن اختزالها في ثلاث كلمات: "آية، العزيز، الرحيم" وذلك لأن هذه الثلاث تمثل المفتاح السردي لكل مشهد من مشاهد السورة؛ فكلمة آية تختزل تفاصيل كل مشهد، وكلمتا العزيز الرحيم تختزلان العاقبة لكل مشهد.
- إن ذكر مشاهد الأنبياء في سورة الشعراء يدل دلالة واضحة على المفارقة بين دعوة الأنبياء وكلام الشعراء، وكان لابد أن يقدم ذكر الشعراء المذمومين تبعا لهذه المغايرة: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ٢٢٤ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ٢٢٥ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ٢٢٦﴾ ، ثم يأتي بعد ذلك الاستثناء الواضح الذي ينفي هذا الذم عن الشعراء المؤمنين: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾ ، كما أنه من باب الحكمة الإلهية أن يتطرق الحديث أيضا إلى نفي الكهانة

عن القرآن الكريم: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ ﴾ لأن ذلك مسبوق بالنص على أن القرآن من عند الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ ، فالحديث هنا في معرض إنذار قريش ومناقشتهم فيما يدعون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذا اقتضى مسار النص أن يذكر كل هذا.

– لم يكن الأمر هنا في سورة الشعراء من الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم بعبادة الله الواحد كما مرّ في سورة الأعراف وغيرها من السور الكريمة، بل كان أمرا بالتقوي إذ قال كل نبي لقومه هنا: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ ، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ ﴾، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ ، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ ، وهذا نوع آخر من الحوار يتضمن الأمر بالتقوى وهي هنا الوجه المكافئ للعبادة، كما أنه يوضح تشابه دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقومه مع دعوة الأنبياء السابقين فقد أمر صلى الله عليه وآله وسلم قومه بعبادة الله الواحد الأحد كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١] كما أمرت الأنبياء السابقون أقوامهم بالعبادة في سورة الأعراف، وأمر صلى الله عليه وسلم قومه بالتقوى كما في مفتتح سورة النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ وغيرها كما أمرت الأنبياء السابقون أقوامهم بالتقوى هنا في سورة الشعراء.

– تشابه رد قبيلة ثمود على نبي الله صالح عليه السلام حين قالوا: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ ، ورد أصحاب الأيكة على نبي الله شعيب عليه السلام حين قالوا: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ

أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ مع رد قريش على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين قالوا عنه كما حكى القرآن الكريم في سورة الفرقان: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ ليكون ذلك تسلية لرسولنا الكريم عما يلاقيه من تهم من كفار مكة؛ فقد وجهت هذه التهم من قبل إلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، فلا يحزن والله ناصره صلى الله عليه وآله وسلم كما نصرهم عليهم السلام.

- إن حشد مشاهد الأنبياء السابقين هنا في معرض الجهر بالدعوة فيه ردع لقريش؛ إذ حكت هذه المشاهد أن الأقوام السابقين طلبوا من أنبيائهم أن يأتوهم بالآيات الدالة على صدقهم وقد جاءت هذه الآيات كما طلبوا دليل صدق لدعوة الأنبياء، وعلى هذا كان على قريش أن تنتفع بهذا ولا تكرر الطلب ذاته من سيدنا محمد أن يأتيهم بآيات تدل على صدقه، لكن الشيطان الذي طمس على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم جعلهم ينساقون في المسار ذاته الذي انساقت فيه الأمم الماضية، فتعجبوا من بشرية الرسول كما تعجبت الأمم الماضية من بشرية رسلهم، وطلبوا الآيات كما طلبت الأمم الماضية الآيات.
- تبين من حوارات الأنبياء السابقين أن جميع الاعتراضات التي جاءت على ألسنة الأقوام السابقين لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي هي الاعتراضات التي جاءت بها قريش؛ مما يدل على فساد عقولهم وأن اعتراضاتهم لا تمثل شيئا لنبينا الكريم لأنها اعتراضات تم الرد عليها من قبل من قِبل أنبياء الله عليهم السلام.
- تبين من حوارية السورة الكريمة كيف أن الحوار يساعد على تصعيد الحدث

بما يجعله خاضعا لجاذبية النهاية؛ فقد احتوى كل مشهد من مشاهد الأنبياء عليهم السلام حوارا يبدأ بعرض قضية الإيمان من النبي، ويقوم المعاندون بالصد عنه واتهام النبي في صدقه ثم يتصاعد الحدث عبر الحوار إلى أن يصل إلى نهايته بإنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين، وقد تبين من دراسة الحوار في السورة الكريمة كثرة الطباق في الجمل الحوارية، وذلك لأن دلالة الطباق فيها تثبيت للمعاني المتضادة وتمكين لها في النفس، وهذا يقتضيه البيان القويم الذي يظهر تباين موقف الأنبياء مع معاندي أقوامهم ومن ثم تباين الجملة الحوارية عندهما.

- تبين من دراسة العنوان للسورة الكريمة أن تسميتها باسم "الشعراء" يمكننا أن نصنفه تحت باب (العنوان الدلالي)، والذي يدل على مضمون السورة، والحكمة المستخلصة منها؛ فالعنوان جزء من النص ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بمتن النص وأبعاده الدلالية؛ فالعنوان يعلن والنص يفصل.
- تعد زيادة نسبة القول إلى نسبة التكذيب (١٠:٥٠) دليلا على ضعف مركز المكذبين، وأنهم لم يستطيعوا أن يقارعوا الحجة بالحجة، وأن ما في جعبتهم قد نفد أمام الدلائل والبراهين النبوية التي قيلت على ألسنة أنبياء الله عليهم السلام.
- عرض المشهد الموسوي في السورة الكريمة استعانة فرعون بالسحرة في مواجهة نبي الله موسى –عليه السلام– وهذا يتناسب وجوده في سورة الشعراء الذين استعان بهم أهل مكة ليواجهوا كلام الرسول –صلى الله عليه وسلم– فقد ثبت أن أهل مكة كانوا يخافون أشد ما يخافون من إسلام شاعر حتى إنهم اعترضوا طريق "الأعشى" وقالوا له: "يا أبا بصير إنه يحرم الزنا فقال الأعشى والله إن ذلك الأمر ما لي فيه من أرب، فقالوا له: يا أبا بصير فإنه يحرم الخمر فقال الأعشى أما هذه فوالله إن في النفس منها لعلالات ولكني منصرف فأتروى منها عامي هذا ثم آتيه فأسلم فانصرف فمات في عامه ذلك

ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"[(١)]، فقد عددوا الحجج التي تصده عن القدوم إلى رسول الله، ولم يزالوا به حتى صرفوه عن وجهته، ومن هنا استحق هو وأمثاله من الشعراء الغاوين أن يذموا في هذه السورة الكريمة.

- كما أن موقع قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ " قبل قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ وقبل قوله تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ وكلها في معرض الإبلاغ بالدعوة يدل على تزعزع موقف أهل مكة الذين تخبطوا في ردة فعلهم تجاه عرض القرآن عليهم؛ فقد سألوا علماء بني إسرائيل وهم أهل الكتاب الذين يظن فيهم العلم بماهية الكتب السماوية، وسألوا الكهان عن حكمهم في القرآن الكريم، وسألوا الشعراء عن حكمهم في القرآن الكريم، وهم في حقيقة الأمر يدركون جيدا أن هذا الكلام لا يستطيعه البشر، ومع ذلك أحوجهم كبرهم إلى مثل هذه الطرق وهمًا منهم أنهم سيجدون من يطعن في القرآن ويقول إنه من كلام البشر، أو أنه من إفك الكهان، أو أنه مؤلف من الكتب السابقة، لكن الله تعالى أخزاهم ودافع عن رسوله الكريم ودفع عنه تلك التهم بأقوال محكمة منها قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ (الفرقان: ٥- ٦).

- أكد السياق في سورة الشعراء على أن القرآن الكريم ليس شعرا وإنما هو كلام الله تعالى الذي يخالف منهج الشعراء، وعليه فإن اختتام السورة بقوله تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ ليس لذم الشعر وإنما لذم فئة كتمت الحقيقة وهي

(١) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل بيروت ١٤١١هـ، ج٢ ص٢٣٢.

أن القرآن ليس شعرا؛ فالإسلام لا يحارب الشعر لذاته وإنما يحارب من يتخذه أداة لغواية الناس بدلا من إرشادهم، وهذه الخاتمة تدعونا فيما تدعونا إلى أمر واجب وهو أننا لا نحارب الأشخاص لذواتهم وإنما نحارب أفكارهم الهدامة ومناهجهم الساقطة، وأن ندعو الناس إلى المنهج الصالح للحياة وهو منهج الإسلام الذي يعنى بتطبيق التصور الإسلامي الأمثل للإنسان والكون والحياة.

- جاءت قصص الأنبياء هنا لتدل على أن القرآن خطاب حي صالح لكل زمان ومكان؛ إذ تمظهر في هذه القصص الخطاب إلى عبدة الأوثان، والملوك المستكبرة، وأصحاب المصانع، وأصحاب الجنات والعيون، والشذاذ، والمطففين، ولم تكن كل هذه النماذج في أهل مكة؛ فلم يخبرنا التاريخ أن كان من بينهم ملكا أو شاذا أو صاحب مصانع، مما يدل على أن هذا الخطاب سيكون لمن سيقابلهم المسلمون بعد ذلك إلى زماننا هذا الذي يعج بمثل هذه النماذج الفاسدة.
- كما تبين أن ورود القصص القرآني في أماكنه المتعددة يمثل دليلا من دلائل صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ فالله تعالى يعلم بعلمه الأزلي أن الرسول سوف يهاجر إلى المدينة المنورة ومن ثمّ سيقابل اليهود هناك وبالطبع سوف يريدون أن يتأكدوا من نبوة الرسول محمد، وإن مما يؤكد نبوته ما يحكيه من قصص الأنبياء السابقين ومنهم نبي الله موسى عليه السلام.
- اختصت سورة الشعراء بفرائد لم تشاركها فيها سورة أخرى؛ سواء على مستوى الألفاظ أم على مستوى التراكيب مما مثلت هذه الفرائد دوال الترابط النصي كما مرّ بيانه في المبحث الأول من هذه الدراسة، وجاءت فرائد الألفاظ: "الغاوون، أخوهم، المسحرين"، أما فرائد التركيب فجاءت: " إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الرحيم، من الضالين، هب لي حكما، ما كنتم تعبدون، إذ قال لهم أخوهم.. ألا تتقون، ألا تتقون إني لكم رسول أمين، أمين فاتقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا

على رب العالمين، لئن لم تنته... لتكونن من..، قالوا إنما أنت من المسحرين، ما أنت إلا بشر مثلنا".

– ومن التوصيات التي أراها نافعة بإذن الله تعالى أن تتم دراسات موازنة بين طريقة عرض القصص القرآني من حيث الشكل والمضمون وربط ذلك بمقصود السور التي سيقت فيها القصة.

وبعد فإنني أدعو الله تعالى لكل يد كريمة امتدت بالتوجيه والتصويب لهذه الدراسة أن يجزل الله تعالى لها المثوبة في الدنيا والآخرة، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي العربي الهاشمي وعلى آله وصحبه وجميع المسلمين.

مراجع البحث:

١- القرآن الكريم.
٢- الأساس في التفسير، سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ.
٣- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار المعارف – القاهرة.
٤- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية المتوفى سنة (٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ،١٤١١هـ – ١٩٩١م.
٦- البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .
٧- بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، كاظم الظواهري، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م.
٨- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى : ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة : الأولى ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.
٩- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

١٠- التحرير والتنوير ـ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م.
١١- تفسير الأساس، سعيد حوى، دار السالم – القاهرة، ط السادسة. ١٤٢٤ هـ.
١٢- التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير بيروت الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م.
١٣- التوراة ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، تحقيق وتقديم أد سهيل زكار، دار قتيبة بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
١٤- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٥- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
١٦- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م.
١٧- الدوال وأثرها في إحكام بناء النص القرآني وتكامله، كاظم الظواهري، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالسادات، العدد الأول ١٤٤٣هـ ٢٠٢١م.
١٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٩- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت.
٢٠- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري

أبو محمد، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل بيروت ١٤١١هـ،.
٢١- سيمياء العنوان، بسام قطوس، وزارة الثقافة عمان الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
٢٢- العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة، محمود توفيق محمد سعد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.
٢٣- العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، د. محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتب ١٩٩٨م.
٢٤- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل تأملات، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٢٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٦- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٩ هـ –١٩٩٨ م، الطبعة : الأولى.
٢٧- المخصص، ابن سيده، تحقيق : خليل إبراهم جفال دار إحياء التراث العربي بيروت ، الطبعة : الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٢٨- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٩- معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون دار النهار للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
٣٠- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، د محمد عبدالله دراز، تخريج

عبدالحميد الدخاخني، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٣١- النشر في القراءات العشر، الحافظ أبوالخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، مراجعة فضيلة الشيخ/ علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية بيروت.
٣٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م.

مجلات:

١- تقنيات الزمن في قصص الشعراء، د. تومان غازي حسين، مجلة مركز دراسات الكوفة العدد الثالث والعشرون المجلد الأول ٢٠١١م.
٢- دلالة التركيب في القرآن الكريم (مفهومها- وحجيتها – ونماذج من تطبيقاتها) إعداد الدكتور/ محمد ولد سيدي عبد القادر، المجلد الثاني من العدد الخامس والثلاثين لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية.
٣- الوحدة الموضوعية في السورة المتعددة القضايا في التفسير الإذاعي للدكتور محمد عبدالله دراز، دعاء محمد رياض أبو زيد، مجلة كلية التربية- جامعة عين شمس، العدد الرابع والعشرون (الجزء الثاني) ٢٠١١م.

رسائل جامعية:

١- سورة الشعراء (دراسة بلاغية تحليلية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة إعداد/ فوزية بنت مسفر بن سلمي المطيري، جامعة الإمام محمد بن سعود، العام الجامعي ١٤٢٥هـ-١٤٢٦هـ.
٢- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، مطبعة المدني القاهرة، ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.